تقريب كتاب

تربية المرأة والحجاب

وهو ردّ على دعاة محرّري المرأة

تأليف

محمّد طلعت حرب

قرّبه وهذّبه واعتنى به أحد طلبة العلم

أضواء السلف

٢١
ث

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١

تلفون وفاكس: ٤٥٠٢٣٢١ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي . ت: ٤٠٢٢٥٦٤

مصر : مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤

باقي الدول : دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين واخوانه المرسلين أما بعد فانه قد كثر في هذه الايام البحث والكتابة فى حالة المرأة وما يجب عليها ولها وفي طرق تعليمها.

والفضل فى فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذي وضعه حضرة الفاضل قاسم بك أمين يقول فيه: «ان المرأة مساوية للرجل من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها فى حقوقها ويحث فيه على تربية المرأة وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء. ويقول بلزوم رفع الحجاب ووجوب الاختلاط لأن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال ممايقيد حريتها التي منحها الله اياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به فى الهيئة الاجتماعية إلى آخر ما يدعو إليه». ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى عالم الوجود حتى أشيع فى بعض الجرائد انه تألفت لجنة فى مصر تحت رعاية عظيم فيها لتحرير المرأة الشرقية على الطريقة التي أشار إليها حضرة المؤلف في كتابه. وأخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون في موضوع الكتاب وما احتوى عليه من أفكار وأماني. ولقد انقسموا حزبين: حزبا يرى رأي المؤلف وهم قلائل يعدون على الأصابع. والحزب الآخر وهو الأعظم عددا أجمع على استهجان ما ورد بالكتاب ويقول أنه يدعو إلى بدعة في الدين لافى العوائد فقط . وكلا الحزبين مسلم والحمد لله بأن الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المرأة وتربيتها

وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما يختلفان فيما ينبغي أن تعلمه المرأة وفي طريقة التعليم والتهذيب.

ولما رأينا هذا الجدال والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ويقول أن الحق والدين في جانبه ورأينا أنه لم يكد يخلو مجتمع من الكلام في هذا الموضوع تاقت نفسنا إلى البحث والتنقيب والدخول فيه.

ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فإن أخطأنا قلنا من حُسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وإن أصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل على عملنا أجرا فنقول:

أول شيء طرأ على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس أخذوا يسلقون حضرة المؤلف بألسنة حداد ويحملون عليه وعلى كتابه حملات لم نتعودها على مؤلف غيره من قبل أن لابد في الأمر من شيء مهم حمل الناس على ذلك إذ لا يمكن أن يجتمع كل الناس على ضلالة. ولا يخفى أن ألسنة الخلق أقلام الحق. فأخذنا نسأل ونتساءل ونبحث ونتناظر حتى علمنا أن معظم هياج الرأي العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ في أذهانهم من أن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي ويقولون أن للأوروباويين مطامع قديمة ومآرب في النفس بظهرها زيادة التقرب بين العالمين الشرقي والغربي حتى أن بعض أمراء المسلمين اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها إلى بعض دول أوروبا في نيل مآربه، لتساعده على تحقيق

أمنيته في مقابلة تحقيقه أمنيتهم بأن يدخل العادات الأفرنكية بين أمته مما كان يظنه سهل المنال لما رآه وعلمه من مخالطة أمرائهم وعلمائهم وأرباب الأفكار والسياسة منهم الذين يعلمون حق العلم أنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد. وكل من أدرك عصر هذا الأمير يعلم ما كان قد اتبع في ذلك الوقت من أنه كان يريد أن تخرج النساء مكشوفات الوجوه في الطرقات كالفرنجيات وعمت الإشاعة أرجاء القطر بأجمعه وتحدث الناس بها في كل ناد. وقالوا أيضًا أنه لأجل تنفيذ هذا الفكر.

أمر بأن تخرج احدى المدارس مكشوفات الوجوه. وقد رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط في عربات كثيرة يتفسّحن في أرجاء المدينة وبينهنّ من لها من العمر ست عشرة سنة وزيادة. وقد علم الناس ثمرة هذا الغراس فقد خرجن أكثرهن على علة البغاء.

حتى ان أحد امراء المسلمين إذ ذاك كتب إليه كتابا مطولا ينهاه فيه ويلومه على ما يتظاهر به من حب الانفصال عن دولة الخلافة وما يريد ادخاله من عادات الافرنج بين قومه. ومما جاء فى الكتاب المذكور مختصا بهذا الموضوع قوله بعد العنوان وحمداً لله والصلاة على أنبيائه[1]. بلغنا ورأينا من مقتضيات الأحوال مايصدق الخبر أنكم كاتبتم ملوك أوروبا وتوجهتم بانفسكم إليهم تطلبون منهم الاعانة على الاستقلال والاستبداد.

---

(١) اطلعت على هذا الكتاب عند بعض أعاظم مصر ولديه مايثبت صحته.

ولم يقنعكم الذي شرفكم به سلطاننا فى هذه المدة الأخيرة وذكرتم للمشار إليهم أنكم تضمنون لهم ان وقعت منهم الاعانة التي تطلبونها تبديل أحكام القرآن وفصل السياسة عن الدين بالمرة وتبيحون لنساء الامة الجديدة ماتبيحه العادات الافرنجية وقوانينها من الحضور في مجامع الرجال ومواكبهم وغير ذلك ولاتظلمونهن بمثل ما ظلمتهن الشريعة الاسلامية على مدعاكم وقلتم فيما ذكرتم لأولئك الملوك ان السلطان العثماني لايتيسر له ما يتيسر لكم من امثال هاته الامور التي هي خلاصة التمدن الانساني في نظركم لكونه ملقبا بلقب خليفة الرسول إلى آخرماذكرتم...ا هـ

وان إرادة الوصول إلى تغيير حالة المرأة المسلمة شيء كامن فى نفوس الفرنج لذلك كانوا يطالعون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه حتى انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا غريبا ويرثي لحالها ويصدر منه من الاقوال مايدل على جهله بحالة المرأة وحقوقها فى الاسلام جهلا تاما. مع ان لكثير من فضلاء الشرق مؤلفات ومقالات فى حالة المرأة المسلمة ومالها من الحقوق بحسب الشريعة الغراء قد ترجمت إلى بعض لغات اوروبا واطلع عليها الكثير من علمائها ومع ذلك تراهم مصرين على رأيهم من تعاسة حالة المرأة المسلمة كأن المرأة المسلمة وكلتهم عنهافى المدافعة عن حقوقها أوكأنهم لما رأوا تعاسة حالة المرأة عندهم وابتذالها بما وصلت إليه بفضل الحرية الزائدة الواسعة أرادوا أن تكون حالة التعاسة عامة كل نساء الدنيا فهم دائبون عاملون على التنفير من حالة المرأة المسلمة وما هي

عليه من الشقاء لتقوى كلمتهم فيتدخلون يوما ما، بالقوة باسم المروءة ليحملوا دول الاسلام على تغييرحالة المرأة فيتم لهم الغرض الخفي الكامن في نفوسهم كما تداخلوا من قبل باسم الانسانية والعهد ليس ببعيد فى مسألة الرقيق وان كل من نظر إلى أقوال الفرنج ومن ينسجون على منوالهم رآها مزخرفة الظاهر جميلة الحواشي والاركان لماعة براقة تكاد تأخذ بالالباب:

ولكن واأسفاه حشوها السم الناقع. ولا نلام على قولنا هذا لاننا طالما سالمنا الافرنج وظننا أن كل مايصدر منهم حق وكل أفعالهم منزهة عن العبث فلما استسلمنا إليهم بهذه الطريقة وقعنا فيما نخافه فانطمست معالمنا ودرست آثارنا وغطى الجهل بصائرنا وأبصارنا فاصبحنا على حالة يرثي لها العدو قبل الصديق بعد مجد باذخ وعز سابق وعلم قديم ولو قيل لنا هذا القول في أول تعارفنا بالفرنج لكنا أخذناه كما هو وعملنا به ولربما أصبحت حالة المرأة عندنا كحالة الرجل على ما يبتغيه الفرنج ولكن يسر الله وأصبحت لنا خبرة بمآرب الافرنج نحو الشرق فلا نسمع منهم قولا الا بعد أن نطيل النظر والتنقيب فيه» انتهى.

ومما اتخذه خصومه حجة على ممالأته الفرنج ومجاراته لهم على أفكارهم انه قد سافر بعض الفضلاء من الاتراك إلى اوروبا بقصد السياحة من بضع سنين فلما كان فى بلاد الانكليز وتعرف ببعض أدبائهم هناك جرهم الكلام إلى موضوع حالة المرأة المسلمة وهو الموضوع الذي قل ان يخلومنه مجلس فيه شرقي ووجهوا إليه أقوالا واعتراضات وانتقادات هي نفس الاعتراضات

التي بنى عليها حضرة مؤلف كتاب تحرير المرأة كتابه ويقولون: «انه ليس بعجيب فى الأمر ان الاعتراضات التي وجهت إلى الفاضل التركي هي التي يوجهها كل الفرنج إلى الشرقيين. بل العجيب ان هذه الاعتراضات هي بعينها التي جاءت فى كتاب حضرة قاسم بك أمين ولكنها بعبارة أوسع مع ان ذلك الفاضل التركي كان باوروبا قبل ان يظهر كتاب تحرير المرأة بعدة سنوات. وقد طبعت هذه الاعتراضات ضمن رسالة باللغة التركية سنة ١٨٩٣ أفرفكية بالمطبعة الجامعة بمصرباسم الرحلة الاصمعية. فهل هذا أيضا من باب وقوع الحافر على الحافر أومن توافق الخواطر كما كان الامر فى ظهور كتاب تحرير المرأة فى الوقت الذي ظهرت فيه مقالة انكليزية قيل انها لاحد علماء الهند المسمى القاضي أمير على وترجمت إلى العربية من جريدة انكليزية فى مجلة المقتطف يدعو فيها صاحبها إلى مثل مايدعو إليه صاحب كتاب تحرير المرأة؟».

ذلك أمر لا نتعرض له بنفي ولا اثبات بل نكل فيه الحكم للقراء ـ انما نقول ان اعتراضات الفرنج على حالة المرأة المسلمة وما هي عليه من التحجب لابد ان تكون قد وجهت لحضرة قاسم بك أمين حينما كان يتعلم باوروبا ولكن يظهر ان حضرته لم يحفل بها ولم تؤثر عليه أدنى تأثير. يدل على ذلك أقواله ومدافعاته عن حالة آداب المرأة المسلمة واحتجابها فى مؤلفه النفيس الذي رد به على كتاب «الدوك داركور» ولكن لاندري أي الاسباب أثر عليه بعد ذلك فحوله عن فكره الاول إلى فكر يخالفه بالمرة فى كتاب تحرير المرأة.

ولنكتف الآن بما أوردناه ولنبحث في المرأة ووظيفتها في العالم وفي حقيقة التربية الصحيحة والتعليم الحق اللازمين للبنين والبنات ليصلحوا ان يكونوا يوما مّا أزواجا فآباء وأمهات وفيما يجب أن يتخلق به النساء ليقمن بوظيفتهن في البيوت أحسن قيام. ثم نتبع ذلك بالكلام على الحجاب أهو شرعي يأمر به الدين ويقضي به العقل أم هو بدعة وعادة سيئة ضرت ضررا بليغا بدون أن تنفع؟ ويتخلل هذه الفصول بيان مانحن عليه الآن من الادب والتهذيب والتعليم وبيان درجة النقص فيها وطرق اصلاحها بما لايخل بعوائدنا المستحسنة ومبادي ديننا القويم.

وانا نقول هنا ماقاله حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله في رسالته «باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام»: لايحسبن قراء هذا الكتاب انا نريد المنع من تقليد الاجانب فيما يعود علينا بالمنفعة. كلا. فان ذلك لا تمنعه الشريعة المطهرة. كيف وقد أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق لما أخبره سلمان الفارسي بأنه من أعمال الكسرويين في حروبهم وشواهد ذلك كثيرة لانطيل بذكرها.

ونحن عملا بما تأمرنا به شريعتنا المطهرة وتقليدا للأمم الحية في الحث على تهذيب البنين والبنات وتربية نفوسهم نحض على هذه التربية الصحيحة وندعو إليها جهدنا لعلنا نوفق إلى الوصول إلى هذه الغاية الشريفة.

ولكي يطابق الاسم مسماه سمينا الكتاب «**تربية المرأة والحجاب**».

هذا وإنا نرجو المعذرة اذا هفا اليراع هفوة فالغرض مما نقدمه الجوهر لاالعرض وجل غرضنا المشاركة فى البحث توصلا إلى الحقيقة التي هي ضالتنا جميعا فماتزاحمت الظنون على شيء الا انكشف. وعلى الله الاتكال في كل الأمور ومنه يرجى خيرالمآل.

❁ ❁ ❁

الباب الأول

المرأة ووظيفتها فى المجتمع الإنساني

❖ الفصل الأول:- المرأة أقل من الرجال ادراكا وحسا.

❖ الفصل الثاني :- وظيفة المرأة.

❖ الفصل الثالث :- اقرار بعض علماء الافرنج والسيدات أنفسهن بان المرأة لايلزم ان تتعدى وظيفتها.

❖ الفصل الرابع:- هل للمرأة ان تشتغل بأشغال الرجال؟.

❖ الفصل الخامس: نتائج تحرير المرأة في أروبا؟.

الفصل الأول

المرأة أقل من الرجل إدراكا وحسا

أجمعت كل الشرائع المنزلة على ماسلم به الطبع والعقل من أن المرأة أضعف من الرجل وأقل منه في سائر الحيثيات جسما وادراكا وعلى أن الرجال قوامون على النساء دون العكس. لهم عليهن السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة والاحترام حيث ان الرجل لايمكنه أن يعيش بدون المرأة ولا المرأة بدون الرجل لانه يترتب على تآلفهما عمران الكون وتحسين النوع الإنساني وتكثيره وسعادة العالم المؤلف من عائلات وأفراد بسعادتهم يسعد وبشقائهم يشقى.

وقد قررت الديانة المسيحية ذلك التعليم الإلهي وأمرت المرأة أن تخضع لرجلها وأمرت الرجل أن يتعطف على امرأته وأن يخلص لها الحب.

أما الشواهد من القرآن ومن السنة على كل ما تقدم فكثيرة جدا يعلمها حق العلم كل من اطلع عليها وكلها تثبت خضوع المرأة لسلطان الرجل وهونظام اقتضته حكمته سبحانه وتعالى.

وحسبنا اثباتا لما نقوله قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ ﴾ وقوله ﷺ:«لوكنت آمرا أحدًا أن يسـجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها» وقوله عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله فى الضعيفين: المرأة واليتيم» وقوله ﷺ:«خيركم خيركم لنسائه وبناتـه. وأكمل المؤمنين أحسنهم خلقا مع زوجته.وكلـكم راع وكل راع مسئول عن رعـيته والرجل راع على أهـل بيته وأهله وولده وهو مسئـول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجهـا وهي مسئولة عنه» وقـوله صلوات الله وسـلامه عليه :« اسـتوصوا بالنـساء خيرا فـانما هن عندكم وديـعة لايملكن لانفـسهن ضرا ولانفعـا وانماهن كاسرى بين أيـديكم وانما أخذتموهن بأمانـة الله واستحللتموهن بكلمات الله فـعاشروهن بالمعروف ولاتظلموهن وقوموا بحقهن..الخ..»

والشواهد الحسية والعقلية على ضعف المرأة كثيرة جدا كلها مؤيدة لما سبق نورد منها ماذكره حـضرة فريد أفندي وجدي ضمن مقالة عـنوانها «نظرة فى تحرير المرأة» نشرت في«جريدة المؤيد الغراء».

قال :«هل المـرأة مساوية للـرجل فى سائـر الحيثيات؟؟ فـالجواب لا وهل لدينا دليل حسي على هذا الجواب الـسلبي أصدق من وجود المرأة من ابتداء الخليقة للآن تحت سيطرة الرجل يوجهها كـيف يشاء ويحكم عليها بما تقضي أمياله؟؟.

إذا كانت المـرأة مساوية لـلرجل من الجـهتين الجسـمية والعـقلية فـلماذا رضخـت كل هذه الالـوف المؤلفـة من الاعوام لسـلطان الـرجل وجبـروته؟ لاشك انـا اذا لاحظنا نـاموس الغـلبة والقـهر الذي مـؤداه ان القوي يغـلب

الضعيف ويأسره علمنا جيدا ان المرأة لاتساوي الرجل في جميع المواهب الطبيعية إذ لو ساوته فيها لحدثنا التاريخ باخبار التدافع.

بين هذين الجنسين شأن كل عاملين متساويي القوة فى هذا الوجود. ولكن الأمر بالعكس فان المرأة ظلت راضخة لنيل الرجل ولم تنل مانالته من حريتها فى أوربا الا بسعي الرجل نفسه ورضاه بتخفيف الوطأة عنها كما هو شأن القوي إذا أراد ان يخفف عن الضعيف المقهور له شيئا من أثقاله. إذا اسلمنا بهذا ولا مناص من التسليم به لانه عين الواقع وجب علينا أن نبحث لنتبين كنه التفاضل بين الرجل والمرأة لندرك سر انغلابها له ورضاها بسيطرته كل تلك المدة المستطيلة فنقول: هل الرجل أقوى من المرأة جسما؟؟ الجواب نعم.

وهذه حقيقة لا مرية فيها ألبتة. ولو سلمنا جدلا ان ضعفها ناشئ من استكانتها للرجل الذي كثيرا ماحملها ويحملها أحكام عوائده وتقاليده المضرة بصحتها فان أقل نظرة لحالتها الطبيعية من حيث لوازم الانوثة وعوارضها ومن حيث الحمل والوضع والارضاع واستغراق عواطفها فى الهيمنة على أطفالها وهي الأمور التي يخلو منها الرجل بالمرة - قلنا أقل نظرة فى حالتها هذه التي يعدها الفسيولوجيون أمراضا - تكفي لان نحكم بانها أقل من الرجل قوة ونشاطا على أنا لانسلم مطلقا كما قلنا بأن المرأة لو القي حبلها على غاربها وتحررت من كل قيد يمكنها ان تلحق شأو الرجل قوة وشدة.وإلا فهذه اناثى الحيوانات كلها تدلنا حالتها الحيوية دلالة صريحة على ان الخالق جل شأنه خلق الاناث أضعف من الذكور فى كل الانواع الحية لحكمة بالغة ومقصد عظيم. لكن اثباتنا بان الرجل أقوى من المرأة جسما

لايفسر لنا خضوعها في سائر أدوارها فان القوة العضلية بمفردها لا تكفي للسيطرة والغلبة فى العالم الانساني والا لتغلبت الوحوش على نوعنا الضعيف وأجلته عن الوجود من زمان مديد. فان كثيرا من أنواعها أشد منه قوة وأقوى عضلا . ومع ذلك هو تغلب عليها وقهرها بقوة فكره وسعة إدراكه . إذن وجب علينا أن ننظر فى هذه النقطة إلى وجهة أخرى فنقول: هل المرأة اضعف من الرجل ادراكا؟

نقول نعم . وأحوال الشعوب الحاضرة والغابرة تؤيد هذا القول بالشواهد العيانية فان كل الأعمال الاختراعية والاكتشافات العلمية التي بنيت عليها سعادة الانسانية صدرت من الرجل دون غيره اللهم الا بعض أمور صغيرة تمت على يد المرأة في العصور المتأخرة ولكنها غير ذات أهمية ولو جمع الملايين منها لما وازت فوائدها ما أحدثته الآلة البخارية من التأثير العظيم فى أحوال المدنية.

يقول قائل نسلم لك ذلك لانه عين الواقع ولكن لاتنس أنه نتيجة ظلمها وحرمانها من تغذية قوتها الادراكية بالعلوم والمعارف التي تهيء الانسان للاشراف على دقائق الامور واستدرار منافعها.

فنجيبه بأن حالة المرأة نفسها تعارض هذا القول على خط مستقيم. فانا نعلم ان نموّ المدركة الانسانية كما يتوقف على الدراسة لمبادئ العلوم الاساسية كذلك يستلزم العمل بها وإجهاد النفس فى تنميتها واستزادة مادتها وهو الامر الذي لايتأتى الا بالانقطاع لها أو على الأقل بالتعرض لمناشئها. وبالتأمل فى حالة الرجل والمرأة من هذه الحيثية نجدأن الاول بحكم الطبيعة

متعرض لنفحاتها في كل أدوار حياته فهو من المدرسة إلى مكابدة العمل ثم إلى التعامل بين الناس سواء بالزراعة أو الصناعة والتجارة وكلها مناشئ لتربية المدارك وتوسيع نطاق الملكات. بخلاف المرأة فان الوظيفة التي أنيطت بها من الحمل إلى الوضع إلى الارضاع إلى التربية مع تدبير البيت تجبرها ان تصرف معظم حياتها في الابتعاد عن مصادر التغذية الفكرية.وبناء على هذا يستحيل عليها أن تبلغ شأو الرجل في سعة الادراك حتى ولو سلمنا (ولو أن ذلك مناف لابحاث الفسيولوجيين) إن استعداد الجنسين لقبول المعلومات بدرجة واحدة. ولايغرنا مانسمعه عن بعض النابغات بأوروبا وأمريكا في العلوم الطبيعية والفلكية فإنهن فضلا عن كونهن لم يبلغن شأو الرجال فيها على الاطلاق جانيات على هيأتهن الاجتماعية بعدم إرادتهن الزواج الابعد أن يشارفن سن الهرم تقريبا.وبذلك فهن باشتغالهن بما لاينفع وطنهن بشيء يذكر يحرمنه مما يطالبهن به من الذرية الصالحة فان الواحدة منهن لو تركت أشغالها الفلكية مثلا العديمة الجدوى ورضخت لحكم طبيعتها فتزوجت وهي شابة لاستطاعت أن تهدي الجمعية بخمسة علماء من ذريتها يستطيع الواحد منهم أن يؤدي أضعاف أعمالها مما يكون له أثر يشكر.نعم ان عالمات العالم المتمدن يعددن جانيات في نظر علماء العمران لابتعادهن عن الوظيفة الحيوية التي خلقهن لها الخالق عز وجل فقد ثبت بالإحصاء ان المرأة العالمة لاتتزوج قبل أن يبلغ سنها الخامسة والاربعين كما روته مجلة المجلات الفرنساوية. فقل لي بأبيك ماذا ينتظر منها من النسل بعد هذا السن وهل يستفيد الوطن

من ابحاثها فـي علم الطبيعة أو السيـاسة أو التشريع مثلا بقدر مـايخسره من حرمانهـا اياه من ذريتها التـي ربما نبغ فيهـا فيلسوف مثل «چـول سيمون» او طبيعي مثل «هكـسلى» أو عمراني مثل «سبنسر» ممن يفـيدون الانسانية فوائد حقيقية؟ هذه الحالـة يشكو منها الغربيون أنفسهم ويـعدونها تداخلا من المرأة في غير شأنها واشتغالا بغير ماهو مطلـوب منها مما يبعد بها عن لوازم جنسها وقد لاحظ ذلـك الفيلـسوف چول سيـمون فقال مـا معناه: «إنـي لا أُسر اذا كانت امرأتي دكتـورة فإني أود أن تكون المرأة مرأة» وما ذلك إلا لعـلمه انها بدكتوريتـها فى التشريع مثلا لاتسـتطيع أن تجمع بين دقائق الـقوانين ودقائق علم التربية الذي يطلب منها ويعتمد فيه عليها.

نتيجة ما تقدم ـ يظهر لنا من كل ما تقـدم وليس بعد الحس دليل ان المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا.

أما جسـما فلكونـها معرضة للـوازم الانوثة وهي كمـا أثبتنا أمـراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة الأطباء.

وأما ادراكـا فلكونـها بحـكم وظيفـتها مـن تدبير المـنزل وتربـية اطفالـها والتحفظ عليهم غير معرضة مثل الـرجل لمناشئ تنمية القوة الادراكية فتكون النتيـجة اللازمة لكل هـذه المقدمات ان المرأة لاتسـاوي الرجل في كل حيـثية انسانية وبـناء على هذا ومع ملاحظـة ناموس التغلب يجـب ان يكون الرجل صاحـب السيـطرة المطـلقة عـليهـا اذ لاسبـيل لمعـارضـة أحـكام الطـبيـعة بالاقاويل.

ولكن ذلك كله لايمنع من مطالبة الرجل بالاعتدال فى تلك السيطرة واعطاء المرأة حقوقها فى حدودها المعتدلة الحقة لافى القاء حبلها على غاربها وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية التي كثيرا ما فتنت العباد والزهاد فضلا عن ربات القلائد والنضاد» اهـ انتهى.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

وظيفة المرأة

ظهر من ذلك ان للمرأة أعمالا غير مالـلرجل ليست بالاقل أهمية من أعماله ولابالادنى منها فائدة وهي تستغرق معظم زمن المرأة إن لم نقل كله: الرجل يسعى ويشقى ويكد ويتعب ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله. وامرأته ترتب له بيته وتنظف له فرشه وتجهز له أكله وتربي له أولاده وتلاحظ له خدمه وتحفظ عينه من المحارم.وهو يسكن إليها الخ. الخ... قال بعضهم: «وقع خالد بن يزيد بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير يصفه بالبخل وزوجته رملة بنت الزبير أخت عبدالله حاضرة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة مع زوجها فقال لها خالد مالك لاتتكلمين؟ أرضا بما قلته أم تنزها عن جوابي؟ فقالت لاهذا ولاذاك ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال وانما نحن رياحين للشم والضم فما لنا والدخول بينكم..».

وروي عن اسماء بنت زيد الانصاري رضي الله عنها انها أتت للنبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت :«يارسول الله اني وافدة النساء إليك. ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وانا معاشر النساء محصورات قواعد فى بيوتكم مقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى وان الرجل منكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو

مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغسلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشاركم فى الاجر يا رسول الله؟».

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه الكريم ثم قال :هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها؟ فقالوا يارسول الله ما ظننا امرأة تهدى إلى مثل هذا فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال. انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك أن كل شيء حسن تفعله إحداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغائها موافقته يعدل ذلك كله. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا.

وقيل ان رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضي الله عنه وهي تغلظ عليه بالقول وهوساكت لايرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى! فلما خرج عمر رأى الرجل موليا فناداه ماحاجتك؟ فقال له سبب مجيئه وما سمع. فقال عمر:«يا أخي اني أتحملها لحقوق لها علي: انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام» فقال له الرجل:

«يا أمير المؤمنين وانا أتحمل زوجتي». أليس معنى ذلك أن الله خلق المرأة للرجل وحفظ الشؤون المنزلية وأنه لم يخلق النساء لمغالبة الرجال ولا للآراء والسياسات ولو شاء لاعطاهن الشجاعة والبسالة والفتوة والشهامة مع ان الامر بخلاف ذلك. ولو أرادت المرأة أن تسلك مسالك الرجال وتتعود على تحمل ثقيل الاحمال لتساوي الرجل فى جميع أحواله وتضاهيه فى أقواله وأفعاله أفلا يكون ذلك منها خروجا عن الوظيفة التي خصصها بها الله

سبحانه وتعالى؟ لانه كما أن نظام الكون وسعادته قضيا بأن يخلق الناس أطوارا وبأن أعمال الرجال يجب أن تكون مقسمة بينهم وبأن يكون لكل منهم وظيفة مخصوصة ينقطع لها فيتقنها فطائفة للسيادة وطائفة للسياسة وطائفة للعلم وأخرى للبأس والنجدة كذلك أراد الله أن يكون لكل من صنفي بني الإنسان(المرأة والرجل) عمل مخصوص لايتعداه والاحصل الخلط والتشويش.وبمجموع عمليهما تتم السعادة لكليهما.

ولايظن ظان أن هذا التقسيم فى الأعمال تحكم من الرجال وأن المرأة قابلة للقيام بكل عمل منزلي أو غير منزلي لافرق بينها وبين الرجل لأنّا إذا قطعنا النظر عن الإنسان ورجعنا إلى أنواع الحيوانات الأخرى التي لاتصنع عندها ولاتحكم لوجدنا أن الذكور منها أقوى بطشاً وأشد بأسا وأقدر على العمل وأصبر على المشاق.وتأمل فى الطيور التي تطير جماعات وتسبح فى البحار زرافات تجدها تسير تحت قيادة الذكور وتنام تحت حراستها وتنضوي تحت حمايتها وتجد الفرق بين الصنفين ظاهرا فى الرواء والحسن والبنية والقوة.وإذا أمعنت النظر في الحيوانات تجدها إما بيوضاً وإما ولوداً فالبيوض منها تقضي المدد الطوال فى تحمل البيضة ثم وضعها في وكنة أو عش ثم احتضانها حتى تفرخ ثم تعهد فرخها الصغير وجلب الاقوات له حتى يقوى على الطيران والتحصيل. والولود منها تقضي زمنا أطول من ذلك في الحمل والفصال والرضاع والتعهد والمدافعة بحيث يشغلها ذلك عن كل شاغل.

ثم ارجع إلى الإنسان تجد هذا الفرق بذاته وتحكم أن المرأة كغيرها من إناث الحيوان تحتاج لان تقضي مدة من الزمان فى الحمل الوحم والولادة والرضاع وتعهد الطفل حتى يترعرع وينمو ثم بعد ذلك لاتخرج من العهدة بل تشارك زوجها فى تربيته وتعويده على العوائد والاعمال المطلوبة.

وهي فى كل ذلك لاينبغي أن تكون مشغولة بغير ذلك من الأعمال الخارجية كالوظائف والصنائع الشاقة والزراعة والجندية لان أعمالها السالفة الذكر تحتاج إلى السكون والاطمئنان وراحة الفكر. فقد ظهر لك أن الطبيعة التي فطر الله الناس عليها جعلت المرأة في حيز مخصوص وحددت لها أعمالا لايمكن أن تكون للذكر فإذا حاول محاول تسوية المرأة بالرجل من كل الوجوه يكون قد حاول خرق سياج الطبيعة وتبديل السنة الفطرية: ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ولقد حصلت فى احد المجامع مناقشة بين عدة من فتيان وفتيات فاخذت فتاة تخطب فى ان الرجال هاضمون حقوق النساء ولماذا لاتدخل المرأة فى الوظائف العامة؟

ولم لا يكون من النساء وزيرات ومديرات وقاضيات ونائبات؟

ولم لا يشتغل الرجال ببعض الامور المنزلية؟

فقال لها فتى من الحاضرين نحن مستعدون لتسليمكن كل هذه الوظائف ولكن على شرط ان تقمن بأعمال الجنود من حفر خنادق وبناء استحكامات ومكافحة وقت اشتغال نار الوغى واستخراج فحم ومعادن من المناجم ومباشرة حرث وزراعة فى الغيطان وبناء جسور على الأنهر وحفر ترع وغدران.

فقالت الفتاة: في الامكان أن نقوم بهذه الأعمال اذا لم نتزوج ونحمل ونلد. فقال: إذا كان غرضكن اخذ هذه الوظائف مدة ثم قيام الساعة بعدها فانتظرن آخر الزمن !!. ولقد أيدت لنا ذلك المشاهدات الحسية فقد قرأنا فى مجلة أنيس الجليس أن عدد النساء المشتغلات في الولايات المتحدة بالفنون الجميلة والآداب قد زاد من سنة ٧٠ إلى العام الماضي زيادة فاحشة واردفت ذلك بقولها:

ولكن يظهر انه كلما أمعنت المرأة فى التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل في طلاقها وكان أكثر ذلك فى الولايات المتحدة فان الطلاق يمتد فيها إلى حد غريب غير موجود فى هذه البلاد الإسلامية وسواها.

هذا ولقد ثبت لعلماء العمران ان توزيع الأعمال أقوى معارج التقدم والمدينة فإذا اشتغل النساء باعمال، والرجال باعمال، كان من وراء ذلك التقدم والنجاح. وناهيك بالفساد الذي نراه من الرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللاتي يشتبهن بالرجال. ولقد لعن رسول الله ﷺ كلا الاثنين وروي عن عمار بن ياسرعن النبي عليه الصلاة والسلام:

«ثلاثة لايدخلون الجنة:الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر».

وفسر المترجلة بالتي تتشبه بالرجال.

وقد قضت الشريعة الإسلامية الغراء وقوانين غالب الممالك بقصر السلطنة والقضاء والامامة على الرجال دون النساء. وليس عدم استخلاف النساء وتقليدهن هذه المناصب لعدم وجود من يصلح لذلك فقد قال عروة بن الزبير لذكوان :«لوطابت إمرة لامرأة بعد النبوة لاستحقت عائشة الخلافة» إذً لماذا

ذلك وكلنا نسلم ان الشريعة السمحة لم تأت حكما عبثا بل لابد لكل مبدأ قررته من حكمة مقبولة معقولة؟ أليس ذلك لكون النساء يوصفن بالنقص عن الرجل فى مهمات الامور الحسية والمعنوية؟

على أن من تقلد منهن الملك فى الممالك المبيحة لذلك وأفلح فلم يكمل له الفلاح. وإذا كمل له فهو من النادر الذي لاحكم له ومع ذلك يكون معظم الفضل ان لم يكن كله للرجال الذين يدبرون الملك فى عهدهن.

هذا وقد أجمع علماء التوحيد على أن الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا من النساء مع كونه بعث مالا يحصى من الذكور: ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ فإذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير أمور الجمهور وتنظيم الشرائع والقوانين والوساطة بينه وبين عباده بيد الرجال ولم يجعل للنساء فى ذلك نصيبا فأي امرأة تقصد بعد ذلك أن تتعدى طورها وأي رجل يريد أن يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة الباري وخالفا الشرائع السماوية ومن لم يعتد بالشرائع السماوية فلا كلام لنا معه ولاجدال.

❀ ❀ ❀

الفصل الثالث

اقرار بعض علماء الافرنج والسيدات انفسهن بأن المرأة لايلزم ان تتعدى وظيفتها

وهذا هو رأي كثيرين من علماء أوروبا كما علمنا مما سبق ايراده ونزيد عليه مايأتي:

كتب العلامة الشهير والفيلسوف العمراني طائر الصيت «چول سيمون» الذي عدد مآثره أمبراطور المانيا على رؤوس الاشهاد مقالة فى مجلة العلماء عن المرأة الاوروبية وسوء تأثير التربية الافراطية عليها وعلى مجتمعها برهن فيها على أن الحقوق التي تنتحلها المرأة المتمدنة لنفسها خروج عن الحد وغلوّ، وكانت نتيجته وخيمة للغاية وشدد النكير كثيراً على اشتغال النساء خارج بيوتهن ومزاحمتهن للرجال فى الاعمال عادا ذلك مقوضا لبناء المدنية مفسدا للنظامات العائلية واستطرد فى الكلام إلى أن قال:

«المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي فى الحقيقة عمل عامل بسيط ولكنها لاتؤدي عمل امرأة».

ثم قال : «النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ وقد استخدمتهن الحكومة فى معاملها. وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن في مقابلة ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضا. نعم إن الرجل قد صار يستفيد من أجرة امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له فى عمله».

ثم قـال :« وهنـاك نساء أرقـى من هـؤلاء يشتـغلـن بمسك الـدفاتـر وفى محلات التجارات ويستخدمن فى الحكومـة كمعلمات وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوستة والسكك الحديدية والبنوك والكريدي ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من عائلاتهن سلخا».

ثم اطنب فـي مضار ذلك وختم فصلـه بقوله :«يقول بعض الـفلاسفة إن الحياة محفـوفة بالمكاره ولكنهـم ربما قالوا ذلك لانهم لم يـذوقوا طعم الحب طول عمرهم. أما أنا فاقول :إن الحياة طيبة هنيئة بشرط أن يلزم كل من الرجل والمرأة المحل الذي خصصه الله تعالى لكل منهما.» اهـ

هذا ماقاله ذلـك الفيلسوف وقد عرفـنا من هو فلايصح أن نضـرب بقوله عرض الحائـط. ولنلتفت الآن إلـى ماقاله مستـر(لوسن) الكاتب الأمـيركي الشهير فـى مجلة المجلات التي هي أشهـر مجلات العلم فى العـالم (مجلد ٢٥) عن المرأة الامـيريكيةومـا آل اليه أمرهـا:وصف هذا الكاتـب الحر المرأة الامريكية وصف رجل لايغره الظاهر المـموه ولاتغشه خضراء الدمن مما يجب على الشرقي أن يتدبر فيه ويستفيد منه ليتخذه عبرة تردعه عن التقليد عن غير روية. قال جنابه بعد كلام طويل:

«أما المنزل فيثير لهن ضجراً لايستطعن اخفاءه لانهن فى الحقيقة لايردن أن يكون ربـات عائلات بل يردن أن يـكتفين بانـفسهن مـع أنهن لايستـطعن أن يفقدن كثيرا من الزمن لافي الخياطة ولا في المطبخ»

ثم قال: «فالمرأة الاميريكية لاتقرأ ولاتحفظ بل ولا تفكر في شيء كما يجب: أما معظم شغلها الشاغل فهو التزين والتبرج فتراها تعتمد على ظرافتها وجمالها لكي تسلب فؤاد حامل الدولارات الذي يعطيها الحق في أن تصرف كما تشاء لتبل أوام مابها من البذخ والترف»

ثم قال بعد أن سرد لها مساوي كثيرة :« هذه الحالة النفسية شديدة التهديد لمستقبل العنصر الاميريكي قد وصفتها بدون غلوّ ولاتقصير حيث لم أكتم شيئا مما يتعلق باستعصاء هذا الداء الدوي.» اهـ ملخصًا من مقالة لحضرة فريد أفندي وجدي نشرت بالمؤيد الاغر بعنوان(نصيحة للباحثين في تهذيب المرأة)

هذا وقد نقلت الينا جريدة الأهرام الغراء من مقالة افتتاحية عنوانها (المتكلنزون وحكم انكليزي عليهم) خطبة لذلك الانكليزي وهوالفيلسوف الشهير المستر«بضلى» اختتمها بذمه انتشار مذهب حقوق النساء السياسية في انكلترا ونصح لفرنسا أن تتجنب هذا الخطر. وفهم بعض السيدات الانكليزيات أنفسهن أن وراء مذهب حقوق النساء ما وراءه من الخطر على المجتمع الإنساني فقامت من بينهم العالمة « مس فرنسيس لو» وناهيك بالمرأة الانكليزية علما وتربية ونشرت في مجلة القرن التاسع عشر رسالة اختتمتها بما يأتي كما عربتها لنا جريدة الأهرام الغراء قالت بعد أن ذكرت أعمال المؤتمر الذي عقده بعض النساء بلوندرة في هذا العام:

«إن مؤتمرا كالذي تقدم ذكره يؤدي الى زرع العداوة والبغضاء بين

الجنسين اللـذين يتألف منهما النـوع الانساني لان كلا منهما قـد وهبه الخالق عزوجـل صفات ومـزايا خاصة تمـكنه مـن القيـام بالعمـل الذي أرصدتـه له الطبيعة على مبدإ التعاون والتناصـر فلذلك كان كل مسعى إلى تحقيق سعادة أحدهما دون النـظر إلى سعادة النوع كلـه سعيا خبيثا يـؤيده رأي فائل وأمل باطل.وكأن المؤتمر بذلك يدل على ضيق مـداركه وخطل آرائه وقلة فطنته لانه يسعى إلـى خلط النابل بالحابـل وتشويش نظام الجمـعية البشرية كلـها وقلب شرائعها الإلهية وقوانينها المدنـية الانسانية رأسا على عقب: وما كان أحراه أن لايلتئم له شمل إذا كانت هذه هي الغاية التي يسعى إليها والمبادئ التي يعول عليها...»اهـ

الفصل الرابع

هل للمرأة أن تشتغل بأشغال الرجال؟

قال حضرة: «فريد أفندي وجدي».

نحن إذا عرفنا حقيقة المرأة من أنها ذلك الكائن الانساني الذي أعدته العناية الإلهية لحفظ النوع البشري واستدامته ووهبته سائر الخصائص والمواهب التي يقوى بها على أداء هذه الخدمة . ثم أدركنا جيدا أن هذه الخدمة لاجل أن تودى كما يجب تستغرق جل أوقات المرأة علمنا بدون أدنى شبهة أن المرأة لم تخلق لتتعاطى أشغالا خارج بيتها الذي يأوي اليه صغارها المحتاجون في كل لحظة للعناية والملاحظة . ثم تحققنا تبعا لذلك أن القاء المرأة بنفسها في معترك الحياة الخارجية هو تعد منها لحدودها الطبيعية.

ويجب أخذ جميع الوسائل الفعالة دون انتشار ذلك التعدي بالطرق الحكمية الحافظة لسعادة الهيئة الاجتماعية. هنا يمكن أن يعترض علينا المعترضون قائلين : ألم ترك تلك الشعوب الافريقية والآسيوية مثلا كيف تشتغل النساء مع الرجال كتفًا لكتف ولولا ذلك لما استقام لسكان تلك البلاد معيشة؟ نقول نعم كل ذلك صحيح وهو مظهر من مظاهر أسر الرجل للمرأة وأثر من آثار حرمانه اياها من حقوقها الطبيعية.

شأن القوي مع الضعيف. ونحن فى مجال لايجوز لنا أن نتخذ حال الهمجية دليلا على نظرياتنا العمرانية ولو دقق المعترضون النظر لرأوا ان

السبب الرئيسي لتأخر تلك الشعوب فـى ميادين المدنية هو اشتغال المرأة بغير وظيفـتها وإلزام الرجل لـها بترك أولادها تحت رحـمة الصدف والمقتـضيات الطبيعـية وهي غير كافية لابلاغ الانـسان كماله المرجوّ له والـذي خلق لاجله ولذلك فان جهابذة عـلماء العمران يعتبرون طروّ عادة الاستـرقاق على مابها من فظاعـة مبدأ من مبادىء الرق الـبشري لأن حدوثه خفف عـن عاتق المرأة أثقالها ووهـبها من الدعة والراحة مـايسمح لها بتنمـية قوتها العقلـية وتربية أولادها نوعا مـا. هذه حقيقة عـمرانية يمكن الاصطـلاح عليها في كـتب علم الاجتماع البشري . إذن لـم يبق علينا الآن الا أن نثبت أن الحياة المـدنية تنافي تعاطـي النساء أشغال الـرجال . وهل لدينا دلـيل أصدق من الاستنـاد على مشاهدات علماء العمران فى هذا الشأن:

قال الاستاذ(فريرو) البحاث في احـوال الانسان وتطوراته: «إنه يوجد فى انجلتره كثير مـن النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجـال ويتركن الزواج بالمرة وأولاء يصح تـسميتـهن «بالجنس الـثالث» أي أنهن لـسن برجال ولا بـنساء لمنافاتهن للاول طبيعة وتركـيبا وللأخريات وظائف وأعمالا» وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن بـتركهن الزواج وانتزاعهن أنفسهن من وظائـفهن الطبـيعية كالامـومة ومايتبـعها، قد تغـيرت إحساساتـهن عن إحساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة من الكآبة تشبه أعراض الماليخوليا. فكأن الفـطرة البشرية تقيـم عليهن الحجة عـلى إغفالهن حقوقـهن. ثم قال : «وقد ابتـدأ علماء العـمران يشعرون بوخـامة عاقبة هـذا الامر المنافي لـلسنن

الطبيعية فإن هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار بعضهن عالة على الجمعية لايجدن مايشتغلن به ولوتمادى الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن».

هذا موجز ما كتبه ذلك الاستاذ ومنه يتضح للقارئ اللبيب وجوب الحذر من تمهيد السبل أمام النساء لتعاطي أشغال الرجال بالوسائل العادلة الكافلة لراحة الجنسين.

وليس ذلك بالعزيز علينا لو وقف بعضنا نفسه كما هو حاصل في اوروبا على درس دقائق علم الاجتماع وإرشاد الحكومات لما يرونه أضمن لحفظ أجزاء الهيئة الاجتماعية.] اهـ.

إذا تقرر ذلك وعلم أن المرأة أضعف من الرجل وأن الرجل راعيها وأن لها عملا مخصوصا محدودا لايصح أن تتعداه فكيف يطلب منا أن نسوي بين من لم يسوّ الله بينهما ونخالف حكمته؟

أليس الله هو الذي جعل حظ الرجل مثل حظ الانثيين؟ أليس هوكذلك الذي جعل شهادة الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين؟ وليت شعري ماذا يقول الشرقي المسلم بعد أن يتدبر أقوال علماء العمران السالفي الذكر: أيصح أن يصرعلى فكره الأول من ضرورة احتذاء المرأة الشرقية شاكلة المرأة الغربية أم يلزمه أن يتخذ هذه الأقوال عبرة ويجعلها وأمثالها نصب عينيه لنتمكن من وضع قاعدة حكمية لتربية نسائنا على موجبها كي ينتجن النتيجة التي ينتظرها منهن كل محب لبلاده وجامعته الملية.

ودينننا فيه والحمد لله الكفاية للحصول على ذلك كما ترى فى الباب الثاني من هذا الكتاب. وإذا كنا نريد بالنساء المسلمات خيرا حقيقة ورفقا فما علينا الا أن نتبع ماجاء فـى كتاب الله العزيز وفى أحاديث نبيه الـهادى الى الطريق المستقيـم فإنهما مع هذا الفرق بين الـرجل والمرأة فى التركيب الطـبيعي وفى الطبائـع والحقوق ومع تقسيـم العمل والوظائف بيـنهما قد حثا عـلى حسن معاملة النساء والرفق بهن والاسـتيصاء بهن خيرا بآيات وأحاديث مسطورة في كتب السـنة المعتمدة. وكما جعل الله سـبحانه وتعالى حقوقا لـلرجل على المرأتة طالب الرجل بمالا يقل عن تلك الحقوق بالنسبة لامرأته كما هو معلوم أيضا لتتوفر أسباب السعادة والوفاق بينهما.

على أن من أنصف سلَّم بأن المرأة عند أغلب المسلمين الآن وقبل الآن هي صاحبة الامر والنهي في بيت زوجها والقول قولها. وكم من رجل لايمكنه أن يبدي أي رأي أو يعمـل أي عمل الا بعد أن يشاور زوجته وأن يكـن في قلبه من مـشوراتها حـسرات وغصـص لجهالتـه المترتـب عليهـا طبعـا جهالتـها. ولنختتم هذا الباب بذكر مانتج عن تحرير المرأة فى أوروبا ليتحقق لذي عينين أن كان يليق بنا أن نقتدي بالأوروبيين في ذلك أم لا:

الفصل الخامس

نتائج تحرير المرأة في أوروبا

قال حضرة « فريد أفندي وجدي» تحت هذا العنوان.

لانظن أن المرأة قاست من آلام الأسر في بلد مثل ماقاسته فى أوروبا من أول أدوارها لغاية القرن السابع عشر. ونحن هنا لانود ان نتوسع فى بيان الفظائع التي كانت تعامل النساء بها فى تلك البلاد الغربية.و لكنا نقول اجمالا أن المرأة كانت هنالك تعد من ضمن العجماوات سواء بسواء .بل ربما كانوا يكرمون العجماوات أكثر منهن فى بعض الأحوال فان أمامنا الآن من أخبار القرون الوسطى أنهم كانوا يحرمون على المرأة أكل اللحوم ويجبرونها على ملازمة المآكل النباتية كما يمنعونها من الضحك والكلام. ولكننا لم نر من أخبار تلك القرون أنهم حرموا على الهرر تناول اللحم أو حرموها من اللعب والقفز أمام من يقتنيها. نعم بلغ أسر المرأة فى الغرب الى درجة وحشية جدا حتى تطرف كثير منهم وزعموا أن المرأة ليست من نوع الانسان بل هي من نوع وسط بين الحيوان والبشر والف أحد علمائهم في ذلك كتابا سماه هل للمرأة نفس ولكن لما ترقت المدارك ولطت الاحساسات أدرك الرجل شدة هضمه لحقوق المرأة.

فأخذ فى اطلاق العنان لها شيئا فشيئا وساعد على ذلك فشو الالحاد في بعض الطبقات تحت آثار التعاليم المادية التي انتزعت منهم كثيرا من

الكمالات الانسانية فمالت النفوس إلى الشهوات البهيمة واستلزم ذلك التغاضي عن تبرج النساء فقوي شأنهن تدريجا حتى قمن في السنين الاخيرة (تحت حماية الرجل) يؤلفن «تأمل» الجمعيات للمطالبة بحقوقهن المهضومة التي تخولهن على زعمهن التربع في دسوت الوزارات وتقلد المراكز السياسية لقيادة الشؤون الاجتماعية .وليت الامر وقف عند هذا الحد بل سرى فساد الاخلاق اليهن سريانا يخجل الكاتب من سرد وقائعه الشائنة وتعداد حوادثه المخجلة.

ألم تر ان المرأة التي كانت محرما عليها أكل اللحم صارت تشاطر الرجال في الجلوس على المنتديات العمومية؟ ألم ترها بعد أن كانت محجورا عليها. غير الصلاة وطاعة زوجها طاعة عمياء قد صارت الآن تحسو بنت الحان «أي الخمر» على رؤوس الاشهاد حتى لاتجد في ساقيها قوة توصلها الى بيتها الذي فيه صغارها فتطرح نفسها على أفاريز الطرقات وهي سكرى لاتستطيع حراكا فيحملها رجال البوليس لتبيت في الضابطة. فقد دل الاحصاء في بعض البلاد المتمدنة على أن البوليس يجد فيها سنويا ما يزيد عن العشرة الاف امرأة ملقاة فى الطريق ثملا.

وليتهن وقفن عند هذا الحد المدهش. فان بعض المتعلمات منهن قد فقدن فضيلة الحياء لدرجة صرن يؤلفن الكتب ينددن فيها بعادة الزواج مدعيات أنها من آثار الوحشية الأولى قائلات ماهذه العادة السيئة التي تحرم المرأة من التمتع بابلاغ عواطفها الحبية مشتهياتها؟

ماهذه التقاليد التي تربط المرأة بالرجـل ارتباطا دائما فتجبرها على ملازمة رجل قبيح فى عينها لرؤيتها من هو اجمل منه؟

ماهذا الرباط الحديدي الذي يمنع المرأة من أن تنصاع لاميال فؤادها السريع التـقلب الكـثير الاحـساس بالانـفعالات المختـلفة؟ كـلا. يعار عـلى الهيـئة الاجتماعية أن تذر هـذه التقاليد القديمة حية للآن ويـجب على ربات الجمال ان يبذلـن وسعهن للتـخلص منها بـكل الطرق المـمكنة. هذه كلهـا مقولات بعض المتغاليات من نساء العالم المتمدن وهذه الحالة قد أقامت علماء العمران وأقعدتهم وجـعلتهم يتوقعون انهـدام عظمة أوروبا بيد المرأة الضـعيفة إذا لم يتوصلوا الى ايقافها عند حدها.

قال المسيو«جان فينو» مدير مجلة المجلات في فصل ذكر فيه غلواء النساء فى الحرية والمصائب التي جرتها على المدنية:«نقول بغاية الأسف ان المرأة التي بواسطتها تهذبـت أوروبا ستكون هي نفسها هادمة تلك المدنـية الزاهرة بيديها بازاء هذه النـزغات فان عقلاء القوم لايدرون كـيف يوقفون سير هـذا التيار الشديد الاندفاع الذي ابتدأ يجرف أمامه كـل الكمالات الاخلاقية التي بنيت على أساسها عظمة العالم المتمدن.

«قال الـكاتب الـشهيـر«جول بوا» بـعد سرده مـساوي المرأة فـى بحبـوحة الحريـة:« و بانتـظارنا علـى هذه الحالـة ستثـنينـا المرأة تحت سلـطة جرائـدها وصناعتها وفلسفتها التي لـم تحسن استنتاجها للآن. فترى أفكارنا قد تشبعت باخلاقها السامة التي تبعث النفـوس الى البذخ البالغ حد الجنون والسفه فهي

لاتفتأ تجبب إلينـا البطالة وقلة النظام وتبرهن لنا علـى أنه يجب على الانسان أن يتسفل فـي اميالـه لكي يصـل الى معـالي الامور.» هـذا قول كاتـب من فطاحل كتـابهم ومايقوله غيـره فى هذا المعنى لايدخل تحـت الحصر فلا لزوم للاستزادة مـنه في هذه العجالة. ولايـحسبن القارئ ان هذا ناشـيء من حسد الرجال للنساء على مانلن من حرية فان عقلاءهن أيضا قد أدركن هذا الفساد ووخامة عاقبته فقمن ينصحن لاخواتهن بالاعتدال والتوسط فى امورهن ولا يتأخرن عن اظهار مايختلج بضمائرهـن لمن يسئلهن عن آرائهن. واليك معنى ما قالته احدىٰ العاقلات للمسيـو(جول بوا) بعد ذكرها أحوال النساء: «هذه الحالة هي مهواة جنس من الاجناس ونهـاية جيل من الناس لم يفكروا الا في شهواتـهم البهـيمية حـتى انتهى بـهم الامر إلى حـد اليأس المهـلك». الى أن قالت: «أن داء الضـجر العضال ينتـابنا معشر الـنساء المتبرجات جـميعا وإن أذكانا تدرك ساعة هدوها أنها غير صالحة لشيء ما. أرح نفسك فانا سنتلاشى بهدوء وسـكينة بدون مقـاضاتنا أمام العـدالة وان كل مالنا مـن جمال ورواء سيصير أثرا بعد حين».

هذه شهادة امرأة عاقلة على بنات جنسها ممن يتغالين في الحرية والترف.

فهل بـعد هذا يجـوز لنا أن نحـتذي حذو أوروبا فـى هذا الشأن الخـطير؟ أليس يجب علينا بعد هذه المشاهـدات أن ندرس هذه المسألة جيداً ليتضح لنا مثار الـفساد الذي جرتـه اوروبا على نفـسها ولم تسـتطع أن تصدم تـياره بما لديهـا من وسائل وحكمـة؟ نعم أن هذا من أوجب الـواجبات علينـا قبل أن

نخطو خطوة واحدة في سبيل إعطاء المرأة حقوقها لان العاقل من يتعظ بغيره.»] اهـ.

واذ قد علنا ما هى المرأة وماهي حقيقة وظيفتها وانها راعية على بيت زوجها حافظة لامواله مربية لاولاده فلنبحث الآن فيما يلزم أن تكون متخلقة به وفيما يلزم أن تتعلمه لتؤدي وظيفتها المطلوبة منها خير تأدية.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني

ما ينبغى أن تكون المرأة متخلقة به

❖ ويدخل فى هذا المبحث :-

الفصل الأول :- ماهية التربية الصحيحة
وطرق الوصول إليها

الفصل الثاني :- الحجاب

الفصل الأول

ما هي التربية الصحيحة وطرق الوصول إليها

- ❖ تمهيد
- ❖ تسليم الكل بوجوب التربية
- ❖ حالتنا الحاضرة في التعليم والأدب
- ❖ مداواة الحالة الحاضرة

تمهيد

من المعلوم المقرر أنه متى صح التواد بين الزوجين توفر الهناء وتمت السعادة وتبودل الاحترام بين جميع أفراد العائلة وساد الوفاق وامتنعت أسباب الشقاق وكان الامر بينهم شورى. فما أحسن الزوجين المتمتعين فى منزلهما بالسعادة والهناء وبحسن ادارة المنزل ومأأحسن الزوج الذي يحسن ارضاء زوجته والزوجة التي تحسن ارضاء زوجها

ومعرفة ارضاء أحد الزوجين للآخر فن دقيق لانه يستدعي كمال التربية واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين أحوال المنزل المشترك بينهما وتنظيمه وترتيبه بقدرما يمكن ومعرفة الاعتناء بالوسائل التي تستدعيها الصداقة بين الزوجين لاشتراكهما فى المنفعة العمومية. فروابط الوداد الاكيدة بين الزوجين يتولد منها ثقة عظيمة فى أفعالهما وأقوالهما وجمع قلوب بعضهما على بعض فيكون كل منهما قوي الوداد شريف الفؤاد. فإذا حصل التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة التي قضت بثبوتها الزوجية واقتدى الأولاد بالوالدين في المحبة المتبادلة وفى الاشغال المنزلية الموجبة للعمران.

وكان نساء السلف إذا خرج الرجل الى عمله يقلن له:« اتق الله ولا تكسبن الا من حلال فانا نصبر على الجوع ولانصبر على النار.» وهمّ احدهم بالسفر فقال جيرانه لزوجته:«لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق: يذهب الأكال ويبقى الرزاق» هذه عبارات لو نظرها الانسان بعين الانصاف لوجدها صالحة لأن تشرح بمجلدات تقوم عليها دعائم السياسة ونظام الملك.

❊ ❊ ❊

تسليم الكل بوجوب التربية

لذلك اهتمت كل الامم بتربية البنين والبنات وتهذيب اخلاقهم . ووجوب التربية اصبح مسلما به من العموم ومن البديهيات التي يعترف بها كل قاص ودان. ومع ذلك كثرت المباحثات واشتغل العلماء والافاضل فى هذا الموضوع لا لإثبات لزوم ذلك بل لبث الرغبة أو الرهبة او كلتيهما فى الناس لأن حب الخير وحده ليس كافيا فى سعادةالامم بل لابد من العمل هدانا الله إليه.

ولم يقتصر الإسلام في ذلك كما يظن خصومه الذين يدعون أن لا تربية عند المسلمين خصوصا للبنات إما تعنتا لغاية فى النفس يريدون قضاءها أوجهلا منهم بأحكام الشريعة الغراء خصوصا مايتعلق منها بمكارم الاخلاق وأحكام المعاملات بجميع أنواعها فيغترون بما يشاهدونه من سوء الاعمال وفساد الاخلاق وخرق سياج المروءة بما تأباه الانسانية فيظنون أن هذه المنكرات مقتضى الشريعة الغراء وصريح القرآن الكريم ويستنتجون من ذلك أن الدين الإسلامي الذي فيما يظنون هوهذه المنكرات إنما هو امارة الدمار والمؤذن بالبوار وانه عنوان الخراب وأبعد الاشياء عن نظام الممالك وعمران البلاد الى آخر مايرمونه به مما هو منه براء.

وليس الغريب جهل هؤلاء القوم أو عنادهم إنما الاغرب منه مانشاهده من بعض جهالنا الذين يكادون ينكرون البديهيات إذا قالها القرآن ويذعنون

للـمستحـيلات متـى عزيـت الـى المسـيو والمستـر فلان ... ولله فى خلـقه شؤون.

ومن نظر بعين الانصاف وجد أن فى الشريعة الاسلامية من الحث على علو الهمـم وكسب المعدوم وطـلب المعالي والتـنزه عن سفاسـف الامور وعن أن يكون المـرء عالة على النـاس مالايسعه هذا الـكتاب.وكذلك فيـها من آداب سنية و أخلاق زكية تضمن اصلاح النـفس والجسم وحسن التربية والاخلاق مايكفي لعمارة الممالك وضمان السعادتين الدنيوية والاخروية.

وكان السلف يعودون ابناءهم عليها فيشبون عليها فيأخذها عنهم أبناؤهم وبذا أصبحت الدنيا لهم ولم تؤل عـنهم الا يوم تولوا عن الدين وحادوا عن مبادئه ولم يأتمروا باوامره ولم ينتهوا بنواهيه. يوم أهملوا تربية الاولاد التربية الحقة. التربية التي يقتضيها الدين. التـربية الصحيحة التي تنطبق تمام الانطباق على أحكـام القرآن الكريم الذي لايأتيـه الباطل من بين يديه ولا مـن خلفه. يوم دهمتنا المدنية الـغربية على فجأة بعد أن هبطنا من عظـمتنا الأولى وظللنا قرونا عديدة تـتوزعنا الفتن وتتقـاسمنا المحن فاحدث لديـنا ذلك الانقلاب الفجائي دوارا اجتماعـيا جعلنا نتخبط فى سيرنا ونضطـرب فى أعمالنا على غير هدى.

يوم دهمـتنا المدنـية الجديدة علـى ما بها مـن بهجة ظاهـرية فظنـنا أن ذلك منتهى مايدركه الانسان من الكمال فالقينـا أنفسنا فى مضمار التشبه والتقليد وتسابقنا في باحات التكيف بما توهمناه أصولا لذلك الكمال البشري فهبطنا الى دركة أدنى مماكنا فيها وأي هبوط.

يوم جهلنا أن الذي جاء به الاسلام من الاحوال والاحكام هو الذي مدن بلاد الدنيا على الإطلاق، وانبعثت أنوار هديه في سائر الآفاق، أيام كان الناس عاملين باحكامه فنبذنا أصوله وانقدنا لاهوائنا وأهواء غيرنا فكان جزاؤنا ما أصبحنا فيه من الفشل والاختباط.

قال رسول الله ﷺ: « أتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأت نبى قبلي ولو كان أخي موسى وسائر الأنبياء في زمني لم يسعهم إلا اتباع شريعتي».

فإذا كنا نريد اصلاحا حقيقا لمجتمعنا فما علينا الا أن نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل مافعلوا ونعمل على تربية أبنائنا تربية صحيحة حتى يأتي يوم نعيد فيه إذا استطعنا مجد آبائنا ونحصل على السعادة الداخلية والخارجية والهناء فى الدارين.

وحيث كان الأطفال ذكورا وإناثا محتاجين للتربية ـ لانه لا يوجد أحد يسلم بان التربية الحاصلة الآن للذكور كافية وكافلة لتخريج رجال يصح أن يكونوا النساء متربيات التربية الصحيحة التي ندعو اليها ويأمر بها الدين ولا ان يكونوا آباء يهذبون ويقومون أخلاق أبنائهم ويربونهم تلك التربية المطلوبة ـ فلذلك وجب على كل من يرغب فى تحسين حال البلاد ويغارعلى امته وملته ووطنه أن يسعى جهده في الوصول الى هذه الغاية . ويا ليت اللجنة أو الجمعية التى أشارت الى تشكيلها الجرائد لتحرير المرأة الشرقية تقوم وتتشكل لتبحث فى ايجاد أنجح الطرق وأسهلها لتربية البنات والبنين معا التربية الصحيحة الإسلامية. ويا ليتنا جميعا نقوم من غفلتنا ونهب من رقدتنا

بعد أن صرنا فى حالة من الجهالة وفساد الاخلاق يرثي لها العدو قبل الصديق فنعمل بما يفرضه علينا ديننا ونقوم بما علينا من الواجبات لابنائنا. ولاغرو فالسبب الاصلي فى كل هذا البلاء ملقى على عواتقنا وكواهلنا ونحن مسئولون أمام الخالق سبحانه وتعالى عن تركنا ابناءنا منذ نشأتهم ضحية للتغيرات الجوية والتقلبات الوسطية والاضاليل والترهات القولية بدون مراعاة أي ناموس من نواميس التربية الصحيحة.

ولعمر الحق ماذا عملنا؟ قصرنا عن ايجاد نسل صالح للعمل عقلا وجسما!! اطلقنا العنان لاطفالنا وهم بين حجورنا في الكسل والرخاء والتنعم والترف وغيرها من العوامل التي تنتزع من النفس سلطات المروءة والنخوة فترتب على ذلك أنه انطبع فى جوهرمحنهم تلك المبادئ الفاسدة ونمت مع تلك العيوب التي تشربوها في صغرهم!! غفلنا من كل ماهو فى مصلحتنا. واهملنا تربية اولادنا فاصبحت حالتنا فى التعليم والآداب كما يعلمها الكل ولاينازع فيها أحد غير ملائمة لمصلحة الامة من كل وجه وخصوصا المسلمين منهم بعد ما أغفلت الحكومة العناية التي كانت لها قبل بامور الدين!! أصبحنا فى حالة الاملاق والحقارة: لا اقدام. لانشاط. لافضيلة. نخبط خبط عشواء!! أصبحنا متفانين فى استهلاك شرفنا وثروتنا وجسمنا وعقلنا وكل فرد منا يشكو لاخيه تقهقره وسوء حاله ويلقي تبعة

ذلك على غيره ولا يدري أنه أول الناس فـي اهمال واجبه الاقدس!! وكثيرا ماترى المتنور منـا يصف لك الـعلاج الشافـي وصفا جيـدا ولكنه لايـجربه لنفسه. وإذا لاحظت عليه ذلك أجابك لسان حاله بقول القائل:

فخذ بعلمي ولاتركن إلى عملي ينفعك علمي ولاتضررك أوزاري

وما ذلك وايم الحق إلا خطأ مـحض فان النصيحة لايكون لهـا تأثير حتى تصدر عن حر الطبع نقي الصنع بالفضائل بصير عامل بما يقول.

حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب

أما كفانا عارا أن تكون آدابنا على مابينا وعلى ماجاء بجريدة المقطم الاغر بعنوان آداب الأمة عنوان مجدها ولما احتوته هذه المقالة من فوائد جمة في هذا الموضوع ننقلها بلفظها. قالت :

«لانكاد نسمع بأمة بلغت ذرى العلياء حتى أنافت على السماكين منزلا الا كان الادب لها رائدا ونريد بالادب هنا معناه اللغوي أي ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ أو هو ملكة تعصم من قامت به عما يشينه كما عرفه صاحب المحيط فهو صولجان كل مملكة.وتاج كل رئاسة وفخر كل أمة. بل هو الدعامة الكبرى في نجاح كل أمة وتقدمها

وهذا الكاتب الفرنسوي الشهير المسيو «ادمون ديمولان» عند ماحاق بامته من التأخر والانحطاط بالنسبة إلى الامة الانكليزية جارتها أعمل فكرته وأجهد قريحته حتى وقف على أسباب ذلك التأخر فجمعها فى كتاب ونشره على أمته تنبيها لهامن غفلتها وايقاظا من رقدتها وهو الكتاب المشهور بسر تقدم الانكليز الذي ترجمه حضرة العالم الفقيه والمنشئ البليغ أحمد بك فتحي. ولقد وجد هذا الكاتب الشهير بعد البحث الدقيق أن السرفى نجاح الامة البريطانية هذا النجاح الذي لم تبلغه امة من الامم الخالية والحاضرة آداب أفرادها وحسن تربيتهم البيتية إلى اولادهم متبعين في ذلك قول الحكيم (رب الولد في طريقة فمتى شاخ لايحيد عنها) ويظهر تقدير الأمة الانكليزية للفضيلة واحتقارها للرذيلة .ولايظن القارئ الكريم أن ذلك محصور بين الطبقة العالية فيهم بل هو قد تناول افراد الطبقة الدنيا أيضا.

مداواة الحالة الحاضرة

مما تقدم ينتج أنه ليست تقوم لنا قائمة الا اذا سعينا فى تحسين التربية والتعليم وجعلناهما ملائمين لمصلحة الامة من كل وجه. وعلى ذلك تكون تربية البنات تابعة التربية الذكور.

لأن الأب هو المسؤل عن حالة عائلته الاخلاقية كيف لا وهو رئيسها وراعيها «والرعية على دين راعيها».

ومن المقرر أن أخلاق أهل كل منزل وعوائدهم مكتسبة من أخلاق رب المنزل وعوائده فان أكثر من الموبقات والملاهي وأنواع الشهوات سرى ذلك في بيته وعائلته وذريته:

إذا كان رب البيت بالدف مولعا ... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وإن استقام وقام بما يجب عليه حق القيام تبعته عائلته وذريته وحاشيته وهذا أمر لايختلف فيه اثنان ويؤيده حالنا في هذه الأيام.

الفصل الثاني

الحجـــــاب

- ❖ العفة والامانة والحياء
- ❖ الحجاب أعظم قائد للعفة
- ❖ الحجاب شرعي يأمر به الدين
- ❖ الحجاب الحالي وما يتهددنا به
- ❖ ماهو الاصلح فى حالة المرأة التحجب أم الابتذال؟

العفة والامانة والحياء

كل من تأمل فى أحكام الشرع الشريف ومبادئه وجدها تحث على الفضائل ومكارم الأخلاق وتنهى عن الرذائل ومن ضمن ماتحض عليه العفة التي هي أمانة كل من الزوجين لصاحبه وهي فضيلة دقيقة تفيد أن لايصدر من أحد الزوجين مايخدش صداقته للآخر وهي لذلك ينبغي أن يحرص عليها ولو كانت عزيزة وقل من اتصف بها فى أعلى درجات كمالها فهى عصمة معنوية وهي أساس روابط الجمعية البشرية لان عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط أحد الطرفين بالآخر ومشروط فيه الامانة ضمنا على الوجه الذي قضته الحكمة الإلهية فتقصير أحد الزوجين في تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للامانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء. وبالنظر للعرف يقتضي ان تكون الامانة فى المرأة أوكد وإن كانا مشتركين فيها وسبب ذلك ان جميع الامم على اختلاف مشاربها ونحلها قد اتفقت على أن تطالب المرأة بالصيانة والعفة وسلوك سبيل الحياء أكثر مما تطالب به الرجل. قال عليه الصلاة والسلام: الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن. وفى الحديث عنه ﷺ: «ان الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء» وقال ﷺ:«ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء» وقال أيضا صلوات الله عليه: «ان الله يحب الحييّ الحليم ويبغض الفاجر البذيّ.» فلذلك وجب ان تتعود البنت من صغرها على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لدينه القويم كما قدمنا لأن المرأة متى خلعت ثوب الحياء فكأنها تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون حيث ان خلع ثوب الحياء منها علامة قوية على نية خدش الامانة التي يترتب عليها من العواقب الوخيمة مالا نهاية له. فان الله سبحانه

وتعالى اقتضت حكمته الربانية وضع النسل في بطون الامهات فلا يباح للنساء هتك حرمة هذا النسب فإذا تخلت المرأة عن العصمة ربما دست فى العائلة ماليس منها.وناهيك بما يترتب على ذلك من المضار والفساد. فأوجب العقل والنقل والشرع والطبع على الزوجين فى كل مكان وفى كل زمان أن يعيشا على الأمانة التامة كما يقتضيه عقد الزواج فلذلك وجب أن يتمسك كل منهما مع غاية الدقة والانتباه بهذه الفضيلة التي يترتب عليها صون النسب فتمتنع الوساوس والشكوك والريبة فى طهارة الانساب التي حفظها من ضروريات الدين والملك والعمران كما هو معلوم للعموم ولايختلف فيه اثنان.

❋ ❋ ❋

الحجاب أعظم قائد للعفة

فنظرا لما تقدم ولكون الغيرة من الايمان وما من امرئ لايغار الا منكوس القلب كما روي النبي ﷺ اهتمت كل الامم بما يدفع الارتياب ويريح القلب والفؤاد من الوساوس والاوهام ولم يكن ديننا القويم بالمقصر في تبيين الجح دواء لهذه الادواء فأمر بالحجاب بمعنييه وتمسك به المسلمون في كل عصورهم وبلدانهم لانه الطريق المغني عن الغيرة ومما يوجب زيادة ائتلاف المرأة بأهلها يؤكد ارتباطها بزوجها وأمنه عليها ورضاها بحاله. كيف لا وهو بلاشك أحسن وأفيد ماجرب الاقوام من طرق الاحتراس للصون والعفة ولإراحة النفس من الشكوك والارتياب فلقد دلت التجاريب على أن لانطاق عفة يفيد ولا تربية تقوى على صد تيار القوة الشهوانية الغريزية فى الانسان ولا على رد جماحها عند الثوران مهما بلغ تهذيب المرأة فإن كثرة علومها تصل الى حد التلطف والتحايل على أداء الغرض بصورة لاتنكر عليها. «متى تهيأت لذلك الاسباب» لا الى مغالبة الفطريات والغرائز.

قال حضرة أحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار في كتابه السفر الى المؤتمر بعد ان اورد شواهد عديدة على مايقول :

«ان المرأة بعد كل تهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعي الشهوات والتفاني في الملاذ. فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملح فى الطعام. فإن التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الأميال وان نزع منهن الخرافات التي يبثتها فى عقول الاطفال.»

وقال أيضا بعد أن اورد نقلا عن بعض العلماء الالمانيين فى الفرق الفاحش بين خيانة المرأة الغربية والمرأة الشرقية لزوجها في عرضه: «فإذا سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجه ذلك الالماني رأينا أن في التحجب وفيما يقرب منه

فائدة عظيمة في صيانة الأعراض.» وفي الواقع فليس من ينكر أن اجتماع النساء والرجال في مكان واحد ـ خصوصا بلباس الزينة الذي يستحيل أن تخرج أو تختلط المرأة بدونه ـ يحدث تيار غرام كهربائي لايقطعه الا الوصال : فان الانسان ليس في سعته مغالبة شهواته بالوازع العقلي ولا بالوازع الديني اذا أبيح الابتذال كما اعترف بذلك كثيرون وذهبت أقوال بعضهم مجرى الامثال. وناهيك بالمثل الالماني القائل« يلزم أن تحفظ البنت وسط الاربعة أناجيل أو وسط أربعة جدران» اشارة إلى أن لاشيء يفيدها سوى الحجاب لاستحالة العمل بالشق الأول.

لذلك حافظ المسلمون على الحجاب كما قلنا وحذروا من تركه: فكان الصحابة رضي الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب التي في الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء. ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها. وكان علي كرم الله وجهه يقول: اكفف أبصارهن بالحجاب فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب. وليس خروجهن بأضر من دخول من لايوثق به عليهن فأن استطعت أن لايعرفن غيرك فافعل. وسأل رسول الله ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام : أي شيء خير للمرأة؟ فقالت:« ان لاترى رجلا ولايراها رجل.» أي من الاجانب فضمها اليه وقال : «ذرية بعضها من بعض.»».

وقال الحسن رضي الله عنه:«لاتدعوا نساءكم فيزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله تعالى من لايغار.» وقال عمر رضي الله عنه:« أعزو النساء يلزمن الحجاب» إشارة الى انهن لايرغبن الخروج في الهيئة الرثة. ولقد بلغ حرص الصحابة على تشديد الحجاب الى أن اجتهد بعضهم في منع النساء حتى من الخروج الى المساجد فأتوا حيلا حببت النساء في القعود في منازلهن. يدل

على ذلك ماروي عن عمر وعن الزبير بن العوام رضي الله عنهما فانهما لماشق عليهما خروج زوجتيهما الى المسجد للصلاة ولم يكن في استطاعتهما منعهما عن ذلك الحديث« إذا استأذنت امرأة أحدكم الى المسجد فلا يمنعها» فتعرض كل منهما لزوجته ليلة فى ظهر المسجد وهي لاتراه وضربها على عجيزتها فرجعت امرأة عمر قائلة: «نعم مارأيت فقد فسد الزمان» وقالت عاتكة امرأة الزبير لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألاتخرجين ياعاتكة:

«كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا.»

فهل بعد هذا دليل واثبات على أن الحجاب دافع أوهاما وارتيابا وشكوكا وحصن حصين للعفة والصيانة؟ وهل بعد ذلك دليل واثبات على أن الصحابة كانوا يحجبون نساءهم وأن النبي ﷺ كان يستحسن ذلك ويعجب به؟ وسنورد طرفا من أحاديثه الشريفة في هذا المعنى. فهلا يكون لنا اسوة حسنة بهم جميعا وهم هداة الانام؟ أليست هذه سنة مثلى يجب ان نسير عليها مادام فى الدنيا رجال ونساء؟

الحجاب شرعى يأمربه الدين

إذا تقرر ذلك وعلمنا ان الحجاب من لوازم العفة والامانة والصون وأن الصحابة كانوا متمسكين به ويتفانون فى تشديده لانه اصل من اصول الادب ولأن المحافظة على العرض من أهم أركان مكارم الأخلاق التي بعث النبي ﷺ لتتميمها وثبت ان الحجاب احصن حصن لهذه المحافظة وجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة حاثين عليه آمرين به. ولو كان القرآن والسنة لم يأمرا بالحجاب لما تمسك به الصحابة ورضوا بمخالفتهما ولما أقر رسول الله ﷺ على هذه المخالفة لامر الله بل لما حض على استعمال الحجاب بمعنييه وهما القصر فى البيت وستر الوجه كما سترى. فلنورد اذا بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن ولننظر أأمر الله بالحجاب وحث عليه رسوله أم لا. فنقول:

قال حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة:

«لو ان فى الشريعة الإسلامية نصوصا تقضي بالحجاب على ماهو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتناب البحث فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة في ظاهر الامر لأن الاوامر الإلهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا مناقشة. لكننا لانجد نصا فى الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة. وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم فاستحسنوها واخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت فى الناس باسم الدين والدين براء منها.

ولذلك لانرى مانعا من البحث فيـها بل نرى من الواجب ان نلم بها ونبين حكم الشريعة فى شأنها وحاجة الناس الى تغييرها» اهـ.

ونحـن نخالـفه فى هـذا الفكـر ونقول أن فـى الشريـعة نصـوصا تقـضي بالحـجاب الشرعـي ونعني بـه ستر البـدن باكملـه وملازمة المرأة خـدرها إلا لضرورة « أما الحجاب الحـالي فلاشك انه بدعة لم يأمر بها ديـن ولم يقل بها شرع (أي حجاب المـوضة والشفاف)» ولذلـك لانرى مانعا من الـبحث فى تلك النصوص: جاء فى الكتاب العزيز: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضـن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أوبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أوما ملكت أيمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾

هذه آية جـمعت فأوعت إذ أمـرت الرجل والمرأة معـا بغض النظـر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بان لايبدين زينتهن الا ماظهر منها أي من الزينة لانـي لست ادري ما الداعية للـتكلف فى التأويل والـقول كما قال «حضرة صاحـب تحرير المرأة » من أن الشريـعة أباحت في هذه الآيـة ان تظهر المرأة بعض أعضاء من جسمها امام الأجنبـي عنها مادام المعنى ظاهرا لايحتاج لهذا التعسف.

ولقد حلت لنا هذا الاشكال السيدة عائـشة رضي الله عنها وناهيك بالسيدة عائشة فانها هي التي قال فى شأنها النبي ﷺ ـ كما يعترف به«حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة» نفسه ـ «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فقد سئلت

عن الزينة الظاهرة فقالت : «هي الكحل والخضاب.» أفليس هذا القول هوالفصل الحاسم لكل نزاع في هذا الموضوع؟

والا فما معنى أن تمنع المرأة من إبداء زينتها ويرخص لها بكشف الوجه؟ وإذ لم يكن الوجه هو عين الفتنة وأعظم زينة يجب عدم ابدائها فما هي إذاً الزينة التي اشار اليها القرآن الكريم؟ جاء في البحر :«والاقرب دخول الخلقة في الزينة. وأي زينة أحسن من الخلقة المعتدلة»

ولم يختلف أحد من الصحابة في ذلك ولا في ان المقصود من هذه الآية منع كشف الوجه بحضرة الاجانب بدليل استعمالهم الحجاب وحثهم على تشديده كما أسلفنا وبدليل فهم الآية على هذا الوجه كما سترى:

روي عن ميسون الكلابية أن معاوية دخل عليها ـ لانه كان زوجها ـ ومعه خصي فتقنعت منه. فقال هو خصي فقالت:« يامعاوية أترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله تعالى؟». فلو كان كشف الوجه مباحا ماتقنعت وما عدته حراما حرمه الله. بل ولما اعتذرلها معاوية بانه خصي أي داخل في ظنه في ضمن أولي الاربة الذين قد يباح التكشف بحضرتهم ولَمَا أقرها على مافعلت (١)

(١) كان العرب لايعرفون خصاية الانسان أصلا. وكان ذلك شائعاً في الروم فلم يرد في الشرع نص في استعمال الخصيان الاستعمال الذي كان عليه بعض العائلات الكبيرة لعهد غير بعيد انما كان أمر استعمال الخصيان من الامور الاجتهادية قياساً على غير أولي الإربة الذي أباح الله في الآية السابقة ابداء الزينة امامهم. والاربة هي حاجة الرجال الى النساء. وكان معاوية في عهد خلافته أول من رأى هذا وجعله مذهباً اجتهاديا فلما اقتنى خصياً وأراد أن يدخله على بعض نسائه كما تقدم امتنعت من ذلك فاحتج بكونه خصياً فقالت له ان المثلة به لم تحل منه ماحرم الله. ولم يرغيره من أهل الاجتهاد جواز ذلك فكان استعمال الناس للخصيان تقليدا لمذهب معاوية الذي هو من الشرعيات الاجتهادية دون النصية. ولقد ترتب على ذلك من الآثار المذمومة مالو اطلع عليه معاوية لكان عساه أن يحكم بتحريمه: =

وكان عمريقول : القناع للحرائر: ويمنع الاماء من التشبه بهن فى ذلك وأخرج أبو داود والنسائي عن عائشة انها قالت:

«أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب الى رسول الله ﷺ فقبض ﷺ يده فقال ما أدري أيد رجل أم يد امرأة فقالت: بل يد امرأة فقال: لوكنت امرأة لغيرت أظفارك» يعني بالحناء . فهلا يؤخذ من هذا أن النساء كن يتبرقعن وكن يستترن حتى عن النبي ﷺ؟ وهلا كان قول علي: «أكفف أبصارهن بالحجاب» أعظم دليل عن أن المراد بغض الابصار لزوم الحجاب؟

وهل يفهم لذلك معنى سوى أن جميع الصحابة كانوا فاهمين أن النساء مأمورات بالتقنع وانهم كانوا حريصين على تنفيذ ذلك الامر؟ أليس إذا أشكل أمر يرجع الى القرآن والسنة أو الاجماع؟ وهذا هو القرآن أمر بالحجاب بهذه الآية وبما سترى من الآيات. وهذه هي السنة حاثة عليه كما رأيت وكما سترى.

واجماع الصحابة متفق عليه كما رأيت. وإذا نظرنا الى العادة التي كانت جارية وقت نزول هذه الآية وجدنا حضرة محرر المرأة نفسه يقول: «ان الانتقاب والتبرقع هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده» فما هو وجه الاشكال إذن؟ هل قال أئمة الدين وعلماء المسلمين بما

= وليس مانتج من استعمال الاغاوات سبباً للحط من الدين فهو بدعة دخلت بلادنا كغيرها من البدع ولم تكن من عوائد المسلمين السابقة ولا اللاحقة ولم يرد بها شرع فلا ينسب الى الشرع ماخرج عن حدوده ولايصح أن ينسب الى الدين ماحدث بالبدعة « هذا الأمر وهذا الجدال في الخصي فما هو الحكم فى هذا الزمن في السائق الاجنبي الذي لم يسلم منه كثير من العائلات وزد على ذلك أن أغلبهم غير مسلم. وحتى لو كان مسلم !!!

يخالف ذلك الاجماع وبكشف الوجه واليدين مطلقا كما يدعون عليهم؟ أين الدليل على هذا القول وهاكم الأئمة كلهم تابعون لقول الله العظيم وسنة نبيه الكريم ولم يقل أحد منهم برفع الحجاب غاية ما قالوه «جواز كشف الوجه والكفين إذا حلت ضرورة تبيح ذلك المحظور وأمنت الفتنة» فيابُعد هذا القول مما يتقولون عليهم!!

ولزيادة الايضاح نقول انه لم يختلف كذلك أحد من الصحابة في أن المراد من قوله تعالى ﴿إلاَّ مّا ظهر منها﴾ ليس هو الا الزينة بدليل انهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة ولو كان الامر بخلاف ذلك وكان القصد استثناء بعض أعضاء كما يزعمون لسألوها عن الاعضاء التي لاتدخل تحت حكم عدم الابداء.

وجاء فى تفسير «روح المعاني» للعلامة الشيخ الالوسي: ﴿ولايبدين زينتهن الا ماظهرمنها﴾ أي الاماجرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلامؤاخذة في ابدائه للاجانب وانما المؤاخذة في إبداء ماخفي من الزينة كالسواروالدملج والقلادة والخلخال والاكليل والوشاح والقرط. وذكر الزين دون مواقعها للمبالغة فى الأمر بالتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لايحل النظر إليها الالمن استثني فى الآية بعد. وقال ابن المنير وهومالكي مشهور: «الزينة على حقيقتها وما يأتي إن شاء الله تعالى من قوله عزوجل: ﴿ولا يَضْرِبْنَ بأرجُلهنَّ﴾ الآية يحقق ان ابداء الزينة مقصود بالنهي. وأيضا لو كان المراد من الزينة موقعها للزم ان

يحل للاجانب النظر الى ماظهر من مواقع الزين الظاهرة وهذا باطل : لان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة.»

وروى الطبراني والحاكم وصححه ابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود أن «ما ظهر» الثياب والجلباب وفي رواية الاقتصار على الثياب وعليها اقتصر الإمام أحمد. وقد جاء اطلاق الزينة عليها في قوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ على ما في البحر. وروي عن ابن عباس أن ما ظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة . وعن الحسن انه الخاتم والسوار وقال ابن بحر: «الزينة تقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به من فضل الباس والمراد في الآية النهي عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثني مالم يمكن اخفاؤه في بعض الاوقات» قال بعض المفسرين: «إن قوله تعالى ﴿ما ظهر منها﴾ أي من غير اظهار بأن كشفته ريح أو لضرورة»

هذا وهل يمكن باختلاط الرجال مع النساء وكشف وجوههن غض بصر الرجل عن المرأة وبالعكس كما هو صريح هذه الآية الشريفة؟ أليست مبادىء ميل الانسان إلى الشهوات انما هي الاجتماع. والميل للشيء لا يكون الا بعد رؤيته والرؤية كما أجمع العقلاء سبب التعلق والفتنة؟ أليس وجوب الغض المأمور به في هذه الآية يوجب حرمة الاختلاط لاستحالة الاختلاط مع غض النظر؟

أما تدل هذه الآية على طلب المبالغة في الاحتياط في أمر النساء وعلى ان

الاحوط لهن لزوم البيت الذي هو محل شغلهن والتباعد عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم لعدم الضرورة لذلك وتباعدهن عن الحضور في المجتمعات والهيئات؟ ألم تدل التجاريب على انه متى تأثرت العين بنقل الصورة وصلت الحركة الاستحسانية إلى المخ في أسرع وقت وهو يردها الى الاعضاء هياما وثورة غرام؟

جاء في بعض الآثار: أن النظر سهم مسموم من سهام ابليس. وقال الالوسي في تفسير قوله تعالى ﴿ذلك ازكى لكم﴾ «أي أطهر من دنس الريبة وأنفع من حيث الدين والدنيا فإن النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية والدنيوية مالا يخفى»

قال الشاعر:

والمرء مادام ذا عين يقلبها ... في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ماساء مهجته ... لامرحبا بانتفاع جاء بالضرر

ولسنا نتكلف ايراد دليل على ذلك أعظم مما ذكر في اسباب نزول هذه الآية فان سبب الواقعة التي ترتب عليها نزولها كان الفتنة من النظر الى محاسن امرأة في الطريق فافتتن الرجل واختبل في فكره وعقله وسيره حتى اختبط فى حائط وهو لا يدري ماذا يفعل ولا يعي وسال دمه كما ترى:

اخرج ابن مردويه عن على كرم الله وجهه قال: «مر رجل على عهد رسول الله ﷺ فى طريق من طرقات المدينة فنظر الي امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان انه لم ينظر أحدهما للآخر الا اعجابا به فبينما الرجل يمشى الى جنب

حائط وهو ينظر اليها اذ استقبله الحائط فشق أنفه فقال: والله لا أغسل الدم حتي آتي رسول الله ﷺ فاخبره امري. فاتاه فقص عليه قصته فقال له النبي ﷺ: هذا عقوبة ذنبك. وأنزل الله تعالى هذه الآية. فامر الرجال بغض الابصار وبحفظ فروجهم وأمر النساء بذلك وبشيء آخر أزيد منه: وهو ستر الزينة والمحاسن وعدم إبدائها حتى لا يعود احد يفتتن بهن. ومن هذا لزم ستر وجه المرأة لانه داعية الفتنة كما قدمنا.

ولو كان المراد من هذه الآية اظهار بعض أعضاء وهي الوجه والكفان بدون قيد ولا لضرورة فبم نفسر قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. جاء في تفسير روح المعاني: «أي أن استعفافهن خير لهن من الوضع لبعده من التهمة فلكل ساقطة لاقطة» وجاء فيه ايضا ان المراد بثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار[1].

فهذه آية دلت على وجوب الستر والاحتجاب على الكواعب واباحت للقواعد ان يرفعن قناعهن أن اردن وان يكن التستر وعدم رفع ذلك خيرا لهن واسلهم وابعد عن التهمة

على انه اذا كانت وجوههن وايديهن مكشوفة من الاصل فماذا يمكن ان يباح لهن ازيد من ذلك؟ هل يمكن أن يقال ان الله أمرهن بابداء باقي بدنهن وجسمهن؟ اللهم ان هذا تضليل ومغالطة لا يرضيانك!

(١) اخرج ابن المنذر عن ميمون بن بهرام انه قال في مصحف ابي بن كعب ومصحف ابن مسعود: «فليس عليهن جناح ان يضعن جلابيبهن» واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما انهما كانا يقرآن كذلك ولعله لذلك اقتصر البعض في تفسير الثياب على الجلباب.

هذا وحرصا على الحجاب وحثا على وجوبه وتشديده قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

أي أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال لما يترتب على الرؤية من التعلق والفتنة كما اسلفنا القول. وقال أيضا: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ فهذه آيات تفيد جميعها ان الله سبحانه وتعالى أمر بالحجاب بمعانيه كلها وانها وان كان المخاطب بها نساء النبي ﷺ لكن المقصود منها بلا شك امر نساء المؤمنين كلهن بهذا الحكم تبعا لهن. لأنها إنما تأمر بآداب والأدب مطلوب للجميع. قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك» ولا شك ان هذا من باب الخصوص الذي يقصد منه العموم وهي قاعدة أصولية اتفق عليها فحول علماء الاصول فقالوا «ان العبرة في آي الكتاب واخبار السنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»

ولا يعتد بقول من يقول ان هذه الآيات خاصة بنساء النبي ولا تنطبق على غيرهن بدليل قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ إذا لماذا لا نقول أن الحجاب كان معروفًا مستعملاً عند جميع نساء المسلمين كما ثبت مما قدمنا ولم يكن غير محتجب الا نساء النبي ﷺ لانهن معتبرات امهات المؤمنين

بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ولا موجب للأم ان تحتجب على ابنها فظنن انهن لذلك غير داخلات في حكم ذلك المنع والاحتجاب. فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهن ان الحجاب واجب عليهن أيضا لانهن لسن كاحد من النساء في الثواب والعقاب بل يضاعف لهن كل من ذلك لعلو مقامهن ومكانتهن: قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ قال في ذلك ابن عباس رضي الله عنه: «يريد ليس قد ركن عندي مثل قدركن من النساء الصالحات: «أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ان اتقيتن الله فأطعنه فان الأكرم عند الله الا تقى».

ولعمري ليس في ذلك شيء من الغرابة. أليس العمل الواحد يعمله شخص فيعاقب عليه عقوبة خفيفة ويعمله الآخر فيضاعف عقابه؟ أليس من أصول التشريع ان التعذير يختلف باختلاف درجات الانسان؟ أليس البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الاشارة؟ والا فما معنى ان نساء النبي ﷺ المعتبرات كما قلنا أمهات المؤمنين فلا يجوز النظر اليهن ولا التطلع لهن يؤمرن بالاحتجاب عن أولادهن وغيرهن ممن يطمع فيهن لا يؤمرن به؟

ولو اضفنا إلى ما تقدم ايراده من الاحاديث وأخبار الصحابة وأقوالهم قول عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن في الدين» لزال كل شك وارتفع كل التباس وعلمنا أن جميع النساء

كن مأمورات بالحجاب عاملات به: وهذا ما يستفاد أيضا من أسباب نزول آية الحجاب. أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: «قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل الله تعالى آية الحجاب»: وأخرج ابن جرير عن عائشة: «أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل اذا برزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي. احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل انتظارا لأمر ربه- والا فهو كان أشد غيرا كما تدل على ذلك أحاديثه الشريفة- فخرجت سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضي الله تعالى عنه بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب». وفي مجمع البيان للطبري: «ان مجاهدا روى عن عائشة انها كانت تأكل مع رسول الله ﷺ حيسا في قعب فمر عمر فدعاه عليه الصلاة والسلام فأكل فأصابت أصبعه أصبع عائشة فقال : لو أطاع فيكن ما رأتكن عين: فنزلت آية الحجاب».

ولا يبعد ان يكون مجموع ما ذكر سببا لنزوله: ومنه يستفاد ان الحجاب كان معهودا واجبا على نساء المؤمنين ولم يكن ينقص الا إن تحجب نساء النبي ﷺ والا فلماذا كان حرص عمر لهذا الحد بخصوص أمهات المؤمنين وترك نسائه وباقي النساء؟ أما كان الأولى به أن يبدأ بنفسه خصوصا وشدة غيرته مشهورة معلومة؟

وفضلا على ذلك فان في قوله تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ اشارة لطيفة إلى ان هذه العادة. - عادة التبرج وهو الظهور وعدم التستر انما كانت عادة الجاهلية الأولى التي لا شرع لها واندثرت بزوال تلك العصور - عصور الجاهلية والهمجية والتوحش - فلم يعد يليق الرجوع اليها في زمن التمدن الحقيقي وقد بزغ نور الاسلام. ولو كان المقصود احتجاب نساء النبي ﷺ فقط دون باقي النساء لكان التبرج باقيا ولما صح ان يقال عنه: «تبرج الجاهلية الأولى» بل كان الاقرب ان يقال :« ولا تبرجن تبرج باقي النساء لأنكن لستن كاحد منهن»

هذا وقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قد أزال كل التباس أن كان هناك وجه للالتباس وجاء متمما للحكم بستر المرأة جميع بدنها وتعميم هذا الحكم على جميع النساء في جميع الاوقات ليلا ونهارا:

وفي الواقع أليس معنى ذلك أن نساء المؤمنين عامة أمرن بان يغطين وجوههن التي يعرفن بها. وأي شيء يعرف الإنسان به غير وجهه قال عمر رضي الله عنه: «القناع للحرائر لكيلا يؤذين» وقال السدي في أسباب النزول: «كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء إذا كان الليل خرجن فقضين الحاجة وكان فساق المدينة بخرجون فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمة فكانوا يراودونها فأنزل الله تعالى هذه الآية» ألا يفهم من ذلك أن القناع كان مستعملا لدى

الخروج نهارا وأن بعضهن كن يخرجن بدونه في جنح الظلام لقضاء حاجتهن ظنا منهن أن لهن من ظلام الليل وحلكته حجابا آخر يغنيهن عنه فخاب ظنهن وتطاول الاشرار عليهن فشدد الله تعالى في الامر بالتستر وبأن لا يرفعن الحجاب متى برزن من خدورهن ليلا كان أو نهارا لما في ذلك من زيادة الصون والحرص على الآداب.

ولقد اتفق أغلب المفسرين على ان المراد من ذلك وجوب ستر المرأة رأسها ووجهها وجميع بدنها بحيث لا يظهر منها الا عينا واحدة وقيل عيناها. قال ابن عباس في ذلك: «أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن هن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة». وقال أبو حيان: «أي ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن أحد ولا يلقين بما يكرهن لان المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها أحد بخلاف المتبرجة فانه مطموع فيها» وعن أم سلمة قالت: «لما نزلت هذه الآية - يدنين عليهن من جلابيبهن- خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن ألبسة سود يلبسنها»

والاحاديث الشريفة على وجوب الحجاب بمعنييه كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يأتي: أخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي في سننه عن أم سلمة: «بينما كانت هي وميمونة عند رسول الله ﷺ أقبل ابن أم كلثوم فدخل عليه فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقالت أم سلمة: يا رسول الله هو

أعمى لا يبصر فقال : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه؟» واستدل به من قال بحرمة نظر المرأة الى شيء من الرجل الاجنبي مطلقا.

واخرج الترمذي والبزار عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ان المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها» واخرج البزار عن انس قال:« جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهبت الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فهل لنا من عمل ندرك به فضل المجاهدين؟ فقال عليه الصلاة والسلام:من قعدت منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى».

على ان الشرع قد صرح للنساء بالخروج في أحوال مخصوصة عند الضرورة كخروجهن للمسجد والحج وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الاقارب وغير ذلك بشروط مذكورة في محلها. والمراد أن لا يكن خرّاجات ولاّجات طوّافات في الطرق والاسواق وبيوت الناس بدون ضرورة ولا حاجة وبيتهن أولى بهن وأحوج لهن. وهذا لا ينافي خروجهن لما فيه مصلحة دينية ولا ان يخرجن لحاجتهن مع التستر وعدم الابتذال برضا أزواجهن وان يكن القعود أسلم. قال عليه الصلاة والسلام: «ليس للنساء نصيب في الخروج الا مضطرة.» وقالت عائشة: «لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج» فاذا كان هذا حال النساء في ذلك الوقت فكيف حالهن اليوم الذي كثرت فيه المفاسد بفضل الحرية الواسعة والابتذال ولا رادع من حاكم ولا من دين؟

والاحاديث كثيرة على ان صلاة المرأة في بيتـها خير من صلاتها في المسجد مبالـغة في سترها وعلى ان الاجدر بـها ملازمة البيوت وعدم الخروج مـنها خصـوصا والرجل مـتكفل بـقوتها ونـفقاتـها. وكذلك الـشرع أباح للـمرأة الاختلاط مـع محارمها وهـم غير قليـلين وحرم عليـها الاختلاط مع أجـنبي والخلـوة به. روى البـخاري عن ابـن عباس رضـوان الله عليـهما قـال: « قال رسول الله ﷺ لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم».

وقال: «والذي نـفسي بيده ما خـلا رجل بامرأة الا دخل الـشيطان بينـهما. ولأن يزحم رجـلاً خنزير متـلطخ بطين وحـمأة خير له مـن أن يزحم منكـبيه منكب امرأة لا تحل له».

الحجاب الحالي وما يتهددنا به

علمنا مما تقدم ما نحن عليه من الجهالة وسوء الحال وفساد الاخلاق الذي جر فساد العائلات. وما اسرع سريان الفساد في شرايين العباد. أصبح كتاب الله بين أيدينا وما من عامل به! أصبح الحق ينادينا بأننا قد خنا أنفسنا وأهلينا وبلادنا وما من سامع! أصبحنا نفتخر بتعلم اللغات وقشور من بعض العلوم وما علمنا ان تعلم ذلك شيء والتطبع بالمبادىء الشريفة الثابتة شيء آخر لا يوجده في الابناء الا حكمة الآباء والتربية الصحيحة التي قد جهلناها، جهلنا ما علينا من الواجبات لانفسنا ولأهلينا! اصبحنا لا هم لنا الا أن نفتخر بتقليد الفرنج تقليدا أعمى في كل ما فيه ضررنا وياليتنا كنا نقلدهم في فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع فصرنا لا نتقدم خطوة إلى المدنية الغربية ولا تترقى حاجياتنا إلا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل!

ولقد نال النساء نصيبهن من هذا التفريط في أمور الدين فخفَّفن الحجاب وبرزن من خدورهن وصرن ولاَّجات طوَّافات في الشوارع والمنتزهات متبرجات متزينات يبدو منهن من الاشارات والحركات في الطرق ما يأنف منه الذوق السليم. ولعمر الحق ما هذه الامور التي نراها الا مخالفة كلها للدين ولصريح القرآن الكريم القاضي بغض البصر وبعدم التبرج وعدم ابداء الزينة. ولكن ماذا نقول والغيرة على الشرع قد انعدمت أوكادت والفضيلة ذهبت وذهب رجالها والآداب اندرست ومات ذووها؟والا فما معنى أن يروا أشد المنكرات بأعينهم امام محلات عبادتهم وفي طريقهم بل وفي

بيوتهم ولا يعملون على محوها كأن غض الابصار الذي أمروا به هو صرف النظر وغض الطرف عما هو جار من تلك البدع والمنكرات. ولله في خلقه شؤون.

ولا شك ان الضرر الذي اصبحنا فيه ما هو الا مقدمة اضرار اخرى أشد وأنكى ما دمنا على غفلتنا هذه مسترسلين وعن صوالحنا ساهين.

فياقوم ان كان معتذرا علينا اصلاح ما تم فساده فلنحافظ على الاقل على مابقي ان كان هناك بقية. فقد حصل الآن من النساء تساهل كبير في أمر الحجاب ولم يحصل لنا من وراء ذلك الا كثرة الفجور منهن وانتهاكهن حرمة الآداب وكثرة الفسوق والفساد وهذا أمر لا يخفى على أحد.

والفساد في الواقع أوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنة مثلا[١]. ولا منشأ لذلك الا رقة الحجاب. فالحالة القديمة كانت أصون للاعراض وأحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التي طرأت على النساء فنجيب عن ذلك بأننا لا ننكر ان بعض الطباع الفاسدة من الرجال والنساء معا وجدت سبيلا من

---

(١) قال هذا الكلام المؤلف قبل مائة سنة وهو في مصر وكان ذلك في بدايات التساهل والتهاون بالحجاب وإهمال أولي الأمر من المحتسبين والحكام في ذلك حتى عمت البوى وحدث في مصر ما هو أكبر وأطغى الآن من تخفيف الحجاب. هذو رائحة الخطر هذه الأيام تدور حول آخر معقل للشريعة أن لم يهب الله لها رجال مخلصين من المحتسبين وولاة الأمر. ليحدث ما حذر منه المؤلف وجُنت نتائجه في هذا الزمن في مصر وغيرها. ويااليت شعري هل من مصلحٍ يوقظ أمور الصلاح في الصالحينا وهل من غيوربة أمور الشرع يكمل نصابها ومن صرخة أسود الدار من عمق سبوتها ويكف أبتذال النساء وتكمل شروط الحجاب ويقصر الشر ومتصر الحق. ويااليت شعري أن أنعدمت الغيرة عند أهل الجزيرة أساس العرب فلا أعتقد أن توجد إلا في صدور رجال قد فنو إلا أيشاء الله.

تخفيف الحجاب إلى تعارف بعضها ببعض واتيان ما تميل اليه من المنكر بل نزيد عليه أنه لواستمر تخفيف الحجاب يتقدم بالسرعة التي سار بها إلى الآن- والنفوس على ما هي عليه- لعمت البلوى وازداد الفساد انتشارا.

نعم هذا هو الواقع ولكن هل هو مقتضى الشرع؟ حاشا لله وكلا. إن الدين والحياء والعقل ومكارم الاخلاق والادب كل ذلك بريء من هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال. فالشرع كما علمنا يقضي بستر المرأة وجهها وبدنها وملازمتها خدرها الا لضرورة وباذن زوجها.

ولكن قد طرأ علينا بفضل الحرية والاختلاط ورقة الحجاب وعدم الرهبة والخشية التي كنا نحسب حسابها من الله ومن الخلق ما قد يطرأ على غيرنا من الامور المخالفة لطبائعنا المخالفة لديننا وشرائعنا فصار داء فاستحكم فينا ويتهددنا بتمام الوهن والانحلال ان لم يدركنا الله بلطف من عنده ويلهمنا التوفيق والسداد في قولنا وعملنا.

فان من قارن بين بلاد الشرق قبل استيطان الاجانب بها وقب استيلاء بعض دول أوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من الآداب العامة رأى فرقا عظيما وتباينا كبيراً عما كانت عليه: كان المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون في الشرق يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية وقبحه من الجهة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج بعض نساء الارياف مكشوفات الوجوه فإنه ما كان يجرأ رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء من ذلك لهلك في الحال بايقاع اهلها به

وربما أوقع بـه أجنبي مـنها . وكان النـاس على اختلاف أديـانهم يتـحاشون وجود الـنساء مـعهم فـي المجامع واختـلاطهم بـهن في الافـراح ويمتنـع كل الامتنـاع دخول امرأة في مـجمع لهـو. واذا لعب الهـوى بعقل امـرأة تركت بلدها واقلـيمها وسكنت في بلد آخـر خوفًا من فتك اهلها بهـا ولا يمكنها ان تنتسب إلى أهلها أو تخبر باسمها الاصلـي بل تغيره وتدعي النسبة لغير اهلها سترا علـيهم وخوفا من عـثورهم بها. وكان لا توجـد بغي في بيت مـتظاهرة بالبـغاء بل تتستـر بقدر الامكان خـوفا من علم الحـكومة بها فان الحـكومات الشرقية كانت مـحافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشـخصية فكانت اذا عثرت ببغي عاقبتها وابعدتها خشية ان يسري ضررها إلى جاراتها.

ولذلـك كانت الاعراض مـصونة والـرجال آمنـين على بيـوتهم غـابوا أو حضروا لـعدم اشتغال افـكارهم بشيء يـشوش عليـهم من جهة الـنساء واذا سافر أحدهم سفراً بـعيدا أو قريبا أوصى جاره على بيته فـيتعهد أهله وأولاده ويقضي حوائجـهم ويغار عليهم غيرته عـلى أهله ويحافظ عليهـم محافظته على بـيته وعرضه. وربما جـاور الرجل اخاه من الصـغر إلى الشيخـوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه مرة فضلا عن تعرضه لحرمه.

علم الله ما كنا نسمع قبل تخفيف الحجاب في مصر عن فعل الفواحش الا نادرا. ولا يقال ان ذلك من عدم التربية والتعليم لانه قد دلت المشاهدات على ان الرجال المـتعلمـين قبل الجاهـلين لا يقدرون عـلى كبح جـماح شهواتـهم فيوسوسون لهن ويستميلونهن وهن لا يقوين على حفظ أنفسهن فيملن طوع الهوى رغم التعليم والتربية كما سبق بيانه.

وهذا أمر لا شك في أن حضرة محرر المرأة يصادقنا عليه فانه لا يجهل ما يجري بكثير من نساء الغربيين من الامور التي لا ترضاها عاطفةالحياء بسبب التكشف لأعين الرجال والاختلاط بهم وكتابه في الرد على «الدوك داركور» أعظم شاهد عليه وإننا اذا نظرنا الى حال بعض العائلات التي خففت الحجاب وتعلمت العلوم واللغات وعرفت الموسيقى والبيانو وتربت التربية الغربية التي يفخر بها بعضنا واختلطت لوجدنا العجب العجاب: نرى ابتذالا ما بعده ابتذال ونرى الغيرة لا مسمى لها ونرى العفة عندهم أصبحت كما قال المقطم الاغر «أمراً حقيرا لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبه قدرا» نرى الرجل لا يبالي بمن يدخل بيته ولا بمن يخرج وهم لا يعدون ذلك الا واجبا من واجبات الصحبة ناسين قوله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر. قيل له ما الديوث فقال: الذي لا يبالي من دخل على أهله».

وقصارى القول أن جهلنا قد أوصلنا لما نحن فيه وفسادنا جر فساد نسائنا وأبنائنا وفجورنا أدى إلى فجورهم وترتب عليه رقة الحجاب وتبرج النساء والخروج والدخول بدون موجب الا زيادة الفساد وما دمنا على هذه الحال لابد وان نصير إلى رفع الحجاب بالمرة لان الزمن في تقدم وترقي في صفوف الابتذال باسم الحرية والمدنية والترقي العمراني. والتدرج سنة طبيعية للانسان. ولابد أن ينعدم ما بقي في دمنا من الغيرة على العرض والشرف إن لم نعمل على درء هذه المفاسد بقدر استطاعتنا ونرجع إلى أحكام ديننا القويم ونتبع سنة نبيه الهادي إلى الصراط المستقيم.

هذه هي حالتنا الحاضرة وهذا هو المستقبل الذي يتهددنا: النساء الآن في إطلاق ليس بعده إطلاق قد أضر بهن وبأزواجهن وببلادهن. اطلاق يئن منه العموم. حرية واسعة تركت بعضهن يستسهلن كل بذاء. كل ذلك حصل بسبب جهلنا وعدم اهتمامنا بأمورنا واستسلامنا لعوائد غيرنا. ولعمر الحق ما الملوم غيرنا فان الاجانب عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلي عن بعض أصول ديننا والتنازل عن عوائدنا وإنما كان ذلك بتهاون الرجال في خروج النساء والتوسع لهن في المجامع وأماكن الملاهي وابتذال الرجال وتركهم نساءهم يتقلبن على جمر الانتظار حتى وقع الملال وجر إلى الخبل والخلل ثم إلى تكاثر العلل والتعود على الزلل واسود وجه المجد بما يسفه أحلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود في التقليد الأعمى.

وبدلا من أن يقوم من بيننا من يدعو الى الحث على مداواة هذا الداء بالتربية الاسلامية الحقة وتقييد تلك الحرية نرى الامر قد انعكس وقام بعضنا- ولسنا نعني بالبعض شخصا معينا أو أشخاصا معلومين.

كلا. بل كلامنا عمومي- يدعو إلى التوسع فيها باسم الشفقة والمرحمة ويطلب تحرير المرأة من الظلم الذي هي فيه برفع الحجاب وبالاختلاط.

على أن الرجل- وهو أصل كل هذا البلاء- هو أولى بالتحرير من الجهالة ومن الفساد الذي أصبح فيه. واذا دعى ذلك البعض الى تربية اختار تلك التربية الغربية التي أوردنا حكم بعض الاوربيين أنفسهم عليها فلا لزوم للاعادة.

ولا لوم على الفرنج اذا حاولوا الوصول الى غاية لهم انما اللوم كله على بعض الاشخاص المفتونين في تقليد الغرب: فانهم يوسعون تقاليدهم القديمة كلها ذما وتقبيحا بلا حق ولارغبة في تحسين حال في أغلب الاحيان ولكن تزلفا للاجنبي القوي. فهؤلاء دأبهم أن يثيروا خواطر الاجانب على اخوانهم في الإسلام. والمتمدنون منهم على اصطلاحهم يكرهون من هو من جنسهم ان لم يتبع خطتهم. مع أنهم لو تدبروا لوجدوا أن ما يعزى الى الافرنج من العوائد المستحسنة والفضائل ليس كله من مبتكراتهم بل أخذوا عن الشرقيين والمسلمين كل فضيلة اتصفوا بها- كما هو شأن من يريد الاصلاح الحقيقي وتركوا لهم رذائلهم.

اناشدكم الله أيها المطالبون بتحرير المرأة هلا شاهدتم حال النساء التي قدمنا ذكرهن! ألا تزالون مصرين على رأيكم من ان بقاء المرأة في محل شغلها وهو بيتها الذي تنتهي وظيفتها عند عتبته سجن وحبس لها؟

إذا اشتغلت المرأة باشغال بيتها ألا يتولد فيها النشاط والحركة فيجري دمها ويتقوى جسمها؟

ألا تعتقدون أن ستر المرأة جميع بدنها اذا برزت من خدرها احكم للرجال من مخالفة غض النظر واصون للنساء مما يترتب على هذه المخالفة من المفاسد؟ أما ترون عدم الفائدة من خروجها وبيتها أولى بها ومحتاج لها وزوجها متكفل بمصروفها ونفقتها وبالسعي على عياله؟ وأي ضرر على

الهيئة الاجتماعية اذا خرجت غير متبرجة «تأمل» بدون ابتذال مستورة الوجه ولضرورة؟

ألم يكن الأليق طلب تشديد الحجاب والحث على زيادة الاعتكاف في البيوت والرجوع إلى الحجاب الشرعي ما دمنا جميعا مسلِّمين بان الحجاب الحالي بدعة مضرة مفسدة وما دمنا كلنا متفقين على ان حالتنا الادبية وصلت لدرجة لا تطاق؟

أما تقرون معنا بان الرجل هو سبب كل هذه البلايا والمصائب ؟

أما هو المسؤل عن كل هذه المفاسد؟ هل العلم والتربية كافيان لمقاومة الميل النفساني اذا تحكم الدافع الشهواني متى تهيأت اسبابه؟ أظن لا.

ومن يكابر فما عليه الا ان يسأل ليسمع واذا لم يصدق فليجرب. ولكن هل اذا تربت البنت تلك التربية الاسلامية الصحيحة التي اشرنا اليها وتهذبت اخلاقها ولزمت الحجاب الذي به تمام تربيتها ألا تنظم بيتها تنظيم مثقفة؟

ألا تأنف من مخالطة من هي أحط منها في الدرجة وابعد عن التصون والعفة وألا تكون أهلا لأن تعرف حقوقها وواجباتها؟

انا نرى أغلب انواع التبذير والاسراف والتفريط في العرض وعدم الغيرة تصدر من الطبقة المقال بأنها تعلمت وتهذبت رجالا ونساء. فما لهذه التربية وهذا التعليم لم يدرآ هذه المفاسد ؟

أليس لكونهما جارين على النمط الغربي الذي يئن منه نفس الغربيين كما دلت عليه أقوال أعاظم علمائهم ولان الحجاب قد خفف عند هذه الطبقة حتى كان أن ينعدم بالمرة ويرتفع تماما ولانهن لم يعدن يسمعن« هذا حرام وهذا حلال»؟ بل وماذا أفاد الابتذال والاختلاط بالبلاد الاخرى سوى عدول الكثيرين عن الزواج وتناقص عدد المواليد فيها وعدم الاهتمام بالشؤن المنزلية وكثرة المتشردين وزيادة النفقة على التزين والتحلي لما تستلزمه من النفقات دواعي الاختلاط والحضور في الاحتفالات والجمعيات حيث كل امرأة تريد أن تتأنق لتحوز الاسبقية في أعين الحاضرين: ويالها من جناية عظمى على البلاد والعباد؟

هل ترك الدين شيئا من أصول الادب لم يأمر به ويحث عليه؟ واذا كان الشرع لم ينص عليه أليست حالتنا الحاضرة تستدعي التمسك به بل وإيجاده ان لم يكن موجودا اللهم «تأمل» الا اذا كان ما نراه لا يعد عند ذلك البعض فسادا ولا فجورا؟ وان صح ان بعض الأئمة قال بجواز التكشف مطلقا كما يقولون- على أن الأمر بالعكس- فلماذا نأخذ بقوله ونترك رأي الاغلبية الموافقة لمصلحة الامة ولاصول الادب وها نحن نري بعض علمائنا يطلبون عدم التقيد بمذهب دون مذهب في باقي المسائل الشرعية؟

ولسنا هنا نطلب الا تنفيذ ما جاء في هذه العبارة: «الحجاب أصل من أصول الأدب فيلزم التمسك به. إلا أن المطلوب أن يكون منطبقا على ما جاء في الشرع.» والشرع قضى كما علمنا بأن الحجاب بمعنييه واجب ويأمر به

الدين وحسبه فخرا أن جعله الله تعالى من أحسن ما توصف به امرأة فقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ووردت به السنة وحث عليه النبي ﷺ فلا يسوغ لمتولي الاحكام ولا لاحد غيره من باب أولى أن يحكم في التحليل والتحريم بما يلائم مزاجه مما يخالف الاوضاع الشرعية ولا عبرة بالاستكراه النفساني والاستحسان الطبيعي والاخذ بالرأي من غير دليل شرعي. قال أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه «اياكم والاخذ في دين الله بالرأي وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل وغوى».

نتيجة ما تقدم

ثبت مما قدمنا أن الحجاب الحالي غير شرعي. وان النساء لسن الآن محتجبات بل هن في الحقيقة متبرجات مفسدات. وان النقاب الشرعي يشترط فيه أن لا تبدو منه الا العين الواحدة

وكما كان الصحابة سائرين عليه. وأن الأصل في المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع إلى الشرع وإلى ما أمر الله به.

فليعقد أهل الشرف عزائمهم على أنهم لا يغمض لهم جفن حتى تطهر المدن من هذه النجاسات التي لوثت كثيرا من طاهرات الذيل عفيفات الطباع والا فما ناب اليوم هذا سينوب ذاك غدا والآن يتكلم فلان في بيت اخيه وسيتكلم الغير في بيته فالبدار البدار يا ذوي الغيرة وجدوا في هذا الطلب العدل الحق قبل تفاقم الخطب وامنعوا هذا الابتذال رقيدوا هذه الحرية واطلبوا الرجوع إلى آداب دينكم القويم.

ما هو الأصلح في حالة النساء: التحجب ام الابتذال؟

قال حضرة «فريد أفندي وجدي» : إذا لم تثبت فرضية التحجب فبالاولى لم تثبت فرضية الابتذال وعلى هذا يجب علينا أن نعمل بهذه القاعدة الاساسية العامة وهي (كل ما زاد نفعه عن ضرره وجب أخذه وكل ما زاد ضرره عن نفعه وجب تركه وكل ما تساوى فيه الطرفان كان لنا الخيرة فيه) اذا تقرر هذا نقول: ما هي فوائد التبذل وما هي مضاره حتى نحكم بالاخذ به أو تركه على حسب هذه القاعدة المتقدمة؟

نقول: لا نرى في التبذل إلا فائدة واحدة. وهي سهولة تعامل النساء مع الرجال وهذا التعامل لا تظهر فائدته إلا باشتغال الاوليات بأشغال الآخرين.

وقد سبق لنا أن برهنا على أن هذا ضد طبيعة المرأة ويجب أن يعد من الامراض الاجتماعية اللازم استئصالها بالطرق الحكمية كما أثبتنا ذلك علميا. ولو اعترض علينا بأنه قد يستحيل محو تعامل النساء مع الرجال مهما بذلنا مهما من الوسائل. نقول : لو سلمنا بهذا الامر فلن يبلغ عدد المتعاملات للضرورة جزأ من عشرة من مجموع نساء الجمعية المتمدنة وعلى هذا فلا يجوز لنا أن نراعي الاقلية في إباحة شيء فوائده موهومة ومضاره محققة منظورة.

أما مضاره هذه فكثيرة جدا ولو لم يكن منها إلا سَوْق نسائنا إلى الدخول

في جميع الادوار التي دخلتها المرأة الغربية من جراء اختلاطها بالرجل لكفى بها وازعا قويا لرجل المشرق عن ورود هذا المورد الخطر.

ومن الأسف أنا معشر الشرقيين الجاهلين و المتجاهلين عظمة مدنيتنا الاسلامية القديمة التي هي نموذج الكمال البشري قد اعتدنا أن نضرب بالاورباوي المثل في كل شيء.

فان دعونا الى الاتحاد قلنا احتذوا مثال الاوروبي فيه.

وإن نادينا بلزوم التعاضد أشرنا إلى اقتفاء أثر الاوربي فيه وان سعينا في تحسين حالة النساء إستلفتنا الانظار الى المرأة الاوربية وضربنا بها الامثال. وهذا الامر منا نعده من الغلطات الكبرى فان مدنية اوروبا مهما بلغ شأنها في الصناعة ناقصة من أوجه كثيرة نقصانا يؤذن باستحالة ثباتها على تلك الحالة. ولسنا نقول ذلك من باب الحسد ولكن هي الحقيقة الناطقة لمن ألمّ باصولها وعرف اتجاه مجراها.

وقد قرأنا مرة مقالة لكاتب في احدى جرائدهم يقول فيها ما معناه: «انا معشر الاوربيين قد رتعنا في حياض المدنية ولكنا بغاية الاسف لم نكتف باقتطاف زهورها النضرة وثمارها الجنية ولكنا خلطنا ذلك بما فيها من حسك وحنظل وغرتنا الاماني حتى بتنا وقد أصبحت مدنيتنا مشوبة بما كان يجب أن تتبرأ منه ولهذا هي قد آلت الى الانهيار على نفسها والسقوط بنا الى أسوأ مما كنا فيه.» ولا نشك ان من ضمن مساوي تلك المدنية هي حالة النساء فيها

وقد اثبتنا ذلك من أقوال فطاحل كتابهم وعقلاء نسائهم مما لا سبيل للمكابرة فيه. ولو كان المجال أوسع من هذا لاتينا على الاحصائيات التي تشير إلى المفاسد العامة والخاصة التي سببتها المرأة الغربية بغلوها في الحرية.

يقول قائل: «نحن لم نشر بالابتذال المطلق ولكننا أشرنا بوجوب كشف الوجه واليدين فقط». نقول : «قد ثبت أن التدرج سنة عامة في كل شيء فان كشفت المرأة وجهها اليوم فمن المؤكد انها تتدرج منه الى خلع العذار للنهاية غدا كما فعلت المرأة الاوربية وربما سبقتها في التبرج بعد حين قصير»(*).

(*) ذيك أعني وسمعي يا جاره.

ما هي وظيفة المرأة الطبيعية

للمرأة في الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل ان يشاركها فيه لانه يتعلق بشكل التركيب الجسمي الامر الذي لا يمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد. فمن يكون على بينة من علم التشريح يرى أن هذين الكائنين اللذين لا يفترقان في ظاهرهما الا بفروق صغيرة مختلفان في تركيبها الداخلي اختلافا كليا مما لا سبيل للمقارنة بينهما. هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لا نزايلها يجب الالمام بها لندرك أهمية هذه الوظيفة وخطرها. فهي تستلزم الحمل والوضع والارضاع والتربية. ومن يتأمل في مقدمة مقالتنا هذه ويتحقق أن لكل كائن وظيفة يتوقف (كماله الشخصي) على حسن أدائها وجب أن يتساءل معنا عن ماهية حدود وظيفة المرأة وعن كيفية حسن أدائها لها لنعلم تبعا لهذه البديهة العلمية على أي شيء تتوقف سعادة الجنس اللطيف فنقول:

ما هي حدود وظيفة المرأة واختصاصاتها؟

قلنا أن وظيفة المرأة تستلزم اربع ادوار حمل ووضع وارضاع وتربية. ولكن ماذا يفيد هذا الاجمال بالنسبة لهذه الاحوال الاربع التي وضع العلماء في شرحها قديما وحديثا مالا تكفي عدة صحف لسرد اساميها فضلا عن التعمق فيها؟ فمن يبلغ عني تلك المرأة الحامل التي تحشر نفسها في زمرا المضربين عن العمل بأنها انما تعرض نفهسا باستهدافها للوكز والدفع الى أشد

الاخطار على حياتها وحياة جنينها! ومن يبلغ عني تلك المرضع التي تصيح وتنفعل انتصارا لرأيها السياسي انها بذلك الانفعال النفسي تفسد لبنها فتسقي ولدها منه سما زعافا ربما قضى على حياته القضاء المبرم!! ومن يبلغ عني تلك الام المحامية التي تقضي طول نهارها في المدافعة عن مجرم لتخفف ويلات العقاب عنه ومعظم ليلها في جمع المستندات وتنقيب شروح الشريعة انها باهمالها التعمق في علم التربية تسيء آداب ولدها من حيث تظن انها تحسنها فيشب شريرا عتلا زنيما ثم لا تستطيع أن تبرئه عند المحاكمة بفنونها الجدلية!! أليست هذه الأشياء كلها تمردا على سنن الفطرة وعصيانا لاحكام مكونها؟

اليست إهمالاً من المرأة لشؤون وظيفتها الطبيعية التي يتوقف عليها كمالها وسعادتها واشتغالا بما يضرها هي ومجتمعها لابعاده إياها عن كمالها الذي لا يتم كمال المجتمع الا به؟.

يقول قائل: وماذا يضرنا لو أحسنت المرأة عملها الخاص بها ثم التفتت إلى عمل غيرها فساعدته فيه؟ نقول لهذا المعترض لا يفصل هذه القضية بيننا بحكم لا يقبل استئنافا إلا الطبيعة البشرية نفسها فلنوجه اليها هذا السؤال:

هل تستطيع المرأة أن تبلغ الكمال في وظيفتها الخاصة بها مع مشاركتها للرجل في وظيفته الخارجة؟

انا لنسمع الطبيعة تصيح بيننا بلسان فصيح قائلة كلا ثم كلا واليك التفصيل: أما في مدة التسعة أشهر للحمل فلا تستطيع المرأة إحسان عمل من الاعمال مطلقا لان جنينها في تلك المدة يدخل في ادوار مختلفة ولكل دور منها آثار تبدو عليها وأعراض لا تفترق عن أعراض الامراض في شيء لانها نتيجة تفاعلات باطنية تؤثر على مجموع البنية تأثيرا يختلف باختلاف طبيعة الجسم نفسه من قوة وضعف. ولهذا الدور من أدوار حياة المرأة شرائط صحية كثيرة اكتشفها الاطباء من تجاربهم العديدة ويجب على الحامل ملاحظتها بالدقة وتطبيقها على سائر أطوار الحمل المختلفة لتخرج منه هي وولدها سليمين والا فتكون قد عرضت نفسها لاخطار قد تذهب بحياتها هي وفلذة كبدها دفعة واحدة.

يقول الاطباء: ولما كانت مدة الحمل في الحقيقة حالة مرضية وجب على أهل الحامل ان يعاملوها بمزيد الرعاية مع ابعادهم عنها كل ما يكدر أفكارها أويعارض مزاجها لتأثير كل ذلك على صحتها وصحة جنينها وان يحتملوا ما يبدو منها من حدة الخلق وشدة الانفعال لانها تكون مكرهة على ذلك من جراء الاضطراب العصبي الذي يلازم تلك الحالة.

أما دور الوضع فهو دور شديد الهول كثير المخاوف تتعرض الحامل فيه لآلام حادة وتقع بعده في مرض حقيقي وضعف شديد وقد أفرد الاطباء لهذا الدور كتبا ضخمة ملآى بما يجب مراعاته نحو الوالدة من القواعد الصحية التي تكفل نجاتها من الحميات الكثيرة الانواع التي تتهددها في ذلك الحين.

أما دور الارضاع فهو وان كان أقل خطرا من الدورين السابقين بالنسبة للام الا أنه أشد خطرا بالنسبة للطفل فان له قواعد مخصوصة وقانونا يجب مراعاته تمام المراعاة لان اسراف الام في أكلة متبلة ربما جرت على طفلها نزلة معدية أوردته حتفه أو ربما أكثرت من ارضاعه بغير تدبير فسببت لديه تخمة تنكد عليها حياتها وحياة أهل بيتها أجمعين. وليس الامر قاصرا على هذا فإن الطفل يحتاج من يوم ولادته الى يوم فطامه لملاحظة شروط جمة بالنسبة لتغذيته وكسوته وتنظيفه لو أهمل منها واحد أثر على المولود تأثيرا سيئا ولو كان في بلادنا أحصائيات كاملة لعلمنا منها آن أكثر الاطفال يموتون من جهل الامهات بشروط التربية الطفلية.

أما وظيفة التربية فهي من أقدس الوظائف وأدعاها للعناية والاهتمام فان الطفل عندما يخرج من ذلك العالم الغيبي تكون مرآة نفسه خالية من جميع الصور مبرأة من جميع النوائب الاخلاقية والمعائب النفسية وقابلة لأن ترتسم فيها كل صورة عرضت اليها على علاتها ولكل من هذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عند ما يشب وتسوقه رغم أنفه الى الوجهة التي تهيئها له. فما الجبن والشجاعة وما المكرم والبخل وما البشاشة والعبوس الى غير ذلك من الرذائل والفضائل في الانسان الا آثار تلك الصور التي ارتسمت في مخه وهو خالي الذهن من كل شيء. فاذا كان الناس قد اعتادوا ان ينظروا إلى من ورث مالا فأساء التصرف فيه بعين الآسف المتلهب فبالأولى يجب عليهم ان ينظروا بتلك العين إلى الام الجاهلة بشرائط تلك

التربية بل شتان بين كنز يبذر وبين نفس كـريمة تقتل قتلا أدبيا فيشب صاحبها رغم أنفه جائحة على بني جلدته ومصيبة على اخوان ملته أو بالاقل غير نافع لقومـه مع انه لو كان ممـن أسعده حظـه فأحسنت أمـه تربية ملـكاته وتنـمية مواهبـه لشب وهو واحـد من أولئك الأفـراد الذين تسـعد بهم الامم وتـرقى بهممهم إلى أوج الجلالة والعظم.

فهل يأتي على الناس زمان يدركون فيه هذه الحـقيقة الجليلة فيلقون على الأمهات هذه المسؤولية العظمى؟

وهل يأتي علـيهم حين يعلمون فيـه أن فن تربية الاطفال ليـس من الفنون البسيطة التي تتـعلم في شهر أو شهرين بل تقتضي سنين طـويلة لأنها تتناول معظم العلوم النفسية وكيفية تربيـة الملكات ومعالجتها بالطرق الحلمية؟ وهل يأتي عليهم وقت يعرفون فيه أن هذه الـعلوم لاتساع موادها وتشعب أصولها لا تدع محلا لسواهـا من العلوم الاخرى الا بما يقيم أود الفـكر ويصقل مرآة البصيرة؟.

إذا أتى علينا الزمان المـنتظر فهل نقول وقتها بلزوم اشتـغال النساء باشغال الرجال وقد أثبتنا مـن قول علماء العمران في مقالاتنا السابقـة انها تسلخهن من عائلاتهن سلخا وتقوض دعائم أسرهن تقويضا؟.

ثم هل نذهب إلى ضرورة نبذ الحجاب واختلاط النساء بالرجال وقد برهنا من أقوال العلماء من العالمين الأوروبى والامريكى على ان لا نتيجة لذلك الا

التهالك على التزين والتبرج واقمنا الأدلة من قول نفس المرأة أن ذلك الاختلاط الذى يدعون أن فيه فوائد للنوعين لا أثر له في ترقية شأن المرأة لانهم يقصرون المقابلات على تبادل التحايا ذوات المعاني المتنوعة التي كانت تستعمل بعينها في مدة لوزير الخامس عشر؟

بأي صفة يلزمنا ان نصف المرأة التي تترك فلذة كبدها في حجر مرضعه أو مربيته الجاهلة لتذهب هي إلى اندية السياسة لتلقي الخطب في تأييد وزارة أو في تفنيد مطالب حزب من الاحزاب؟ لا شك يجب علينا أن نصفها بالمجرمة الجانية المتعدية لحدودها ويلزم منعها واستلفاتها بما يمكن من الوسائل إلى ذلك المولود الذي ألقته القدرة الإلهية الى عهدتها لتقيم أود جسمه وعقله عوضا عن اشتغالها بمالا يتعطل بدونها لانها بخطبها إنما تؤدي وظيفة خطيب وكثير ما هم ولكنها باهمالها شأن مولودها تدعه لتربية الصدف وهي لا تكفي مهما كانت حسنة لان تبرز مكنونات الفطرة أوتستخرج عجائب القوي النفسية فيشب كما يجيء لا كما يجب مع انه كان في مكنة امه ان تبث في روحه روح الكمالات والفضائل وتحيط نفسه بسياج من الحكمة تمنعه من مقارفة الرذائل ومداناة المقاذر فيكبر رجلا صالحا يخدم امته خدما ترفع مجدها الى عنان السماء ويخلد لوالدته الفاضلة اسما بين فواضل هذا النوع الإنساني فيرحمها من في الأرض ويصلي عليها من في السماء هذه هي (المرأة الكاملة) المربية المحتجبة بحجاب العفاف والصيانة.

حجاب الكمال والرزانة التي هي في لزوم بيتها وعدم تبرجها كالقلب من

الجسد محتجب بين الأضلاع لعدم استعداده مثلها لمقاومة المؤثرات الخارجية ولكنه احتجاب لم يمنعه من تأدية وظيفته السامية للبدن كله كما لم يمنع الناس من تقديره حق قدره فهو مستودع الحياة ومنظم حركات سائر الأعضاء. وهو المخصوص بالرعاية والملحوظ بكل العناية.

هل ترضى المرأة عند ماتعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب؟ كلا لانها تعلم ان ذلك يسوقها الى محجة التزين والتبرج ويبعثها الى البذخ ومتابعة الاهواء كما اثبتنا لها ذلك مما لاسبيل معه للمكابرة وهو أمر يعطلها بل يصدها عن بلوغ شأوها المنتظر. ثم هل تميل لان تجاري الرجال في الاشغال؟ كلا. لان ذلك يسلخها عن عرش ملكها (اسرتها) سلخا فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذي فيه سعادتها وحريتها. اذا ماذا تعمل؟ تتعلم كيف تكون اما وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على مطالعة أسرار التربية وعجائبها التي بها يصير الجبان شجاعا والبخيل كريما والامبراطوري جمهوريا والاشتراكي ملكيا الخ وتترك التبرج والتباهي بتعلم اللغات الاجنبية ولاتسرف فى الزخارف فان الانهماك على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجا الى ما فيه عبوديتها ورقها. ولايغرها ماتراه من انطلاق النساء في غير قومها ولاتستنتج من تطوافهن مع أزواجهن في الشوارع انهن أقرب منها الى ذلك المستقبل السامي. كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق إلى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن في

التشكي من حالتهن وقد نقلنا عنهم كل ذلك تفصيلا ومن استزادنا زدناه تطويلا.

تلك هي المرأة الكاملة وتلك هي حريتها الحقيقة وذلك هو سلاحها فى معترك هذه الحياة فليتخذ الشرقيات هذا المثال نصب أعينهن وليعملن على التقرب منه شيئًا فشيئًا حتى ينلن سعادتهن وينلننا سعادتنا المرتبطة بهن والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل. اهـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥

الباب الأول

الفصل الأول: المرأة أقل من الرجل إدراكاً وحساً	١٥
الفصل الثاني: وظيفة المرأة	٢٣
الفصل الثالث: إقرار بعض علماء الإفرنج والسيدات أنفسهن	٢٩
الفصل الرابع: هل للمرأة أن تشتغل بأشغال الرجال	٣٣
الفصل الخامس: نتائج تحرير المرأة في أوروبا	٣٧

الباب الثاني

الفصل الأول: ما هي التربية الصحيحة وطرق الوصول إليها	٤٥
تمهيد:	٤٧
تسليم الكل بوجوب التربية	٤٨
حالتنا الحاضرة في التعليم والأدب	٥٣
مداواة الحالة الحاضرة	٥٤
الفصل الثاني: الحجاب	٥٥
العفة والأمانة والحياء	٥٧
الحجاب أعظم قائد للعفة	٥٩
الحجاب شرعي يأمر به الدين	٦٢
الحجاب الحالي وما يتهددنا به	٧٧

الموضوع	الصفحة
نتيجة ما تقدم	٨٧
ما هو الأصلح في حالة النساء التحجب أم الابتذال؟	٨٨
ما هي وظيفة المرأة الطبيعية	٩١
فهرس الموضوعات	٩٩